تاريخ الغش الدراسي في مصر .. من عار لمثار افتخار 03

مونديال ٢٠٢٦ بين رهانات الدبلوماسية وتعقيدات الصراعات 09

إعادة قراءة مصادر حرب يونيو ٦٧ – دراسة د. خالد فهمي 06

مصر ترحب بالتوصل لمذكرة تفاهم أمريكا وايران وتأمل تركيز الاهتمام على مأساة فلسطين

رحبت جمهورية مصر العربية بالاتفاق على توقيع مذكرة تفاهم التى تم التوصل إليها بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية الإسلامية الإيرانية، واعتبرته تطورا بالغ الأهمية من شأنه استعادة الأمن والاستقرار على المستويين الإقليمى والدولي. وقالت مصر إنها تأمل أن يشكل هذا الاتفاق نقطة تحول رئيسية نحو تعزيز الثقة المتبادلة، وإرساء أسس جديدة للتعاون، وتهيئة بيئة داعمة للسلام، ودفع الجهود الدبلوماسية الرامية لمعالجة باقى القضايا الإقليمية المختلفة، بما ينعكس ايجابا على أمن واستقرار منطقة الشرق الأوسط.

وقال بيان رسمى : لقد واصلت مصر خلال الأشهر الأخيرة – بتوجيهات من رئيس الجمهورية – جهودها الجادة والصادقة، بالتنسيق والتعاون مع الشركاء الإقليميين والدوليين، من أجل الوصول إلى هذه النقطة وانهاء الحرب وفتح صفحة جديدة تعزز من أمن واستقرار المنطقة.وتجدد مصر موقفها الثابت الداعم للحلول السلمية وتسوية النزاعات بالوسائل الدبلوماسية، وتؤكد أن تسوية الخلافات عبر الحوار والتفاوض تمثل نهجا اساسياً لتحقيق السلام وترسيخ الاستقرار، بما يتوافق مع مبادئ القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة، ويسهم فى خفض حدة التوتر وتسوية النزاعات، وتهيئة بيئة أكثر ملاءمة للتعاون والتنمية وتحقيق الامن والاستقرار لشعوب المنطقة وازدهارها.

وتعرب مصر مجددا عن تطلعها لأن يؤدى إنهاء الحرب إلى اعادة تركيز الاهتمام الدولى مرة أخرى على الأوضاع المأساوية إنسانيا وأمنيا للشعب الفلسطينى فى قطاع غزة والضفة الغربية، وسرعة العمل على بدء تنفيذ المرحلة الثانية من خطة الرئيس الامريكى دونالد ترامب للسلام.

أميرة الشريف

إحالة صبرى نخنوخ و 10 آخرين إلى "الجنايات" بتهم خطف واحتجاز وسرقة بالإكراه

أمرت النيابة العامة بإحالة المتهم صبرى حلمى نخنوخ حنا وعشرة متهمين آخرين إلى محكمة الجنايات؛ لارتكابهم عدة جرائم.

وجاء فى قرار الإحالة الخاص بالقضية، التى قيدت برقم ٦٢٦٢ لسنة ٢٠٢٦ جنايات التجمع الخامس، أن المتهمين تواطأوا على ارتكاب جرائم استعراض القوة، والتلويح بالعنف ضد مواطنين، فضلا عن تنفيذ عمليات سرقة بالإكراه، والتهديد المصحوب بطلب الابتزاز.

كما شملت لائحة الاتهامات الرسمية الموجهة لنخنوخ ومعاونيه، التعدى بالضرب والسب والقذف، وتعمّد إزعاج المواطنين، إضافة لإساءة استعمال وسائل الاتصالات الحديثة، واستعمال حسابات خاصة على شبكة الإنترنت بقصد تسهيل ارتكاب الجريمة.

وكانت التحقيقات التى باشرتها النيابة العامة قد أسفرت عن ثبوت الأدلة ضد المتهمين الأحد عشر، ليصدر القرار القضائى بنقل القضية إلى محكمة الجنايات المختصة بدائرة التجمع الخامس لبدء محاكمتهم وفقا لقانون العقوبات ومكافحة الجرائم الإلكترونية.

فيما نص قرار سابق للنيابة بالتحفظ على أموال المتهمين فى القضية ومنعهم مؤقتا من التصرف بممتلكاتهم لحين الفصل النهائى فى القضية.

وحسب النيابة، فقد أسفر فحص الهواتف الخاصة لنخنوخ والمتهمين وتفريغ محتواها، عن تسجيلات مرئية وصوتية كشفت عن جرائم أخرى مروعة ارتكبها التشكيل العصابي، شملت وقائع خطف مقترنة بهتك عرض، واحتجاز مواطنين مصحوبا بتعذيب بدنى بحقهم، وإكراه الضحايا على توقيع أوراق ومستندات تحت التهديد، وحيازة أدوات تستخدم فى التعذيب، فضلاً عن اقتناء حيوانات برية شرسة لترهيب الضحايا. يذكر أنه تم توقيف صبرى نخنوخ عام ٢٠١٢ داخل فيلته بالإسكندرية، حيث عثر بداخلها آنذاك على ترسانة أسلحة وحيوانات مفترسة. فيما صدر بحقه حكم بالسجن بتهم حيازة أسلحة وتزوير، إلا أنه خرج، ليتجه بعدها لممارسة الأعمال التجارية والاستثمار فى قطاع الأمن والحراسة.

وارتباطا بهذه الواقعة ألقت الأجهزة الأمنية فى مصر قبل أيام القبض على رجل الأعمال أحمد الحداد، زوج الفنانة هاجر أحمد. وتعود الأزمة إلى نزاع حاد دار بين عدة أطراف بخصوص فيلا فى منطقة الساحل الشمالي، تُقدّر قيمتها الإجمالية بنحو ٥٠ مليون جنيه مصري، كان قد تم بيعها فى وقت سابق. ليتفجر الخلاف لاحقا بين الأطراف المعنية حول مستحقات مالية متبقية من الثمن الكلى للعقار بلغت قيمتها قرابة ٢٠ مليون جنيه، ما أدى فى النهاية لتصاعد حدة الأزمة وتفاقمها.

السيد جمال الدين

جريدة أسبوعية – تصدر عن مؤسسة المشهد للصحافة والنشر

رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
مجدى شندى

الموقع الإلكترونى
www.elmashhad.online

العدد 354 – السنة الرابعة عشرة –
الإثنين 15 يونيو 2026 م –
29 من ذي الحجة 1447 هـ
10 صفحات – الثمن : 5 جنيهات

المشهد
لا سقف للحرية

الذكاء الاصطناعي

اذا كان لايشعر .. لماذا لديه مايشبه المشاعر 02

ثقافة

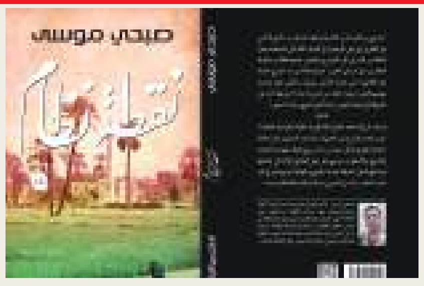

أحمد سراج يقرأ نقطة نظام لصبحي موسى 08

كتاب

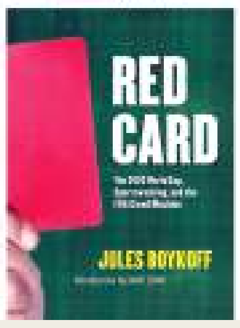

"كارت أحمر" .. الاقتصاد السياسي للكرة

10

مقارنة بين اتفاقى ترامب وأوباما مع إيران

يصر الرئيس الأمريكى دونالد ترامب على أن الاتفاق الذى توصل إليه مع إيران أفضل من ذلك الذى أبرمه الرئيس السابق باراك أوباما فى عام ٢٠١٥، فى حين يقول منتقدو ترامب إن مكاسبه فى هذه المرحلة أقل كثيرا مقارنة بما حصل عليه أوباما كما أن التنازلات التى قدمها لطهران أكثر.

وفيما يلى مقارنة بين الاتفاقين:

المضمون

الاتفاقان مختلفتان تماما. ولا تمثل مذكرة التفاهم التى وقعها ترامب مع إيران اتفاقا نهائيا بل هى إطار عمل من ورقة ونصف ورقة يتألف من ١٤ نقطة جرى التفاوض عليه بشكل متقطع على مدى أسابيع.

وأطلقت هذه المذكرة فترة تفاوض مدتها ٦٠ يوما للسعى إلى تسوية شاملة للحرب التى استمرت قرابة أربعة أشهر، لكن لا يزال هناك العديد من العقبات التى يتعين تجاوزها بشأن قضايا منها البرنامج النووى الإيرانى وتخفيف العقوبات ومستقبل مضيق هرمز.

أما اتفاق أوباما فكان وثيقة نهائية ومفصلة بعنوان (خطة العمل الشاملة المشتركة) فى أكثر من ١٦٠ ورقة. وركز ذلك الاتفاق بشكل محدود على تقييد الأنشطة النووية الإيرانية لكنه تضمن معايير صارمة. وانسحب ترامب من الاتفاق فى عام ٢٠١٨ واصفا إياه بالسيئ.

وبينما اعتمد نهج ترامب على مفاوضات ثنائية بين الولايات المتحدة وإيران، أشرك أوباما الصين وفرنسا وألمانيا وروسيا وبريطانيا والاتحاد الأوروبى فى مفاوضات استمرت نحو عامين.

البرنامج النووي

تضمن كلا الاتفاقين التزاما مكتوبا من إيران بعدم السعى أبدا إلى حيازة سلاح نووى لكن ترامب يصر، على غير الحقيقة، على أن طهران لم تتعهد بذلك مطلقا من قبل. وقال ترامب إن التهديد النووى كان السبب الرئيسى لدخوله الحرب.

فرض اتفاق أوباما قيودا صارمة على مساعى إيران لإنتاج اليورانيوم بدرجة النقاء اللازمة للاستخدام فى صنع الأسلحة بهدف إطالة فترة "الانطلاق" التى ستحتاجها لإنتاج قنبلة. وقالت الحكومة الأمريكية إن طهران كانت ملتزمة بالاتفاق حتى انسحب ترامب من خطة العمل الشاملة المشتركة.

ولا يحدد الاتفاق المؤقت الذى أبرمه ترامب سوى مسار عام نحو كبح الأنشطة النووية الإيرانية دون أى التزامات محددة من طهران بخلاف مناقشة القضايا النووية خلال فترة الستين يوما. ويشير الاتفاق إلى استعداد إيران لحل الخلاف حول مخزونها من اليورانيوم المخصب لدرجة قريبة من المستوى اللازم لصنع القنابل، بما يتضمن إمكانية "تخفيف التركيز" فى الموقع تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وهى هيئة الرقابة النووية التابعة للأمم المتحدة، لكنه يترك هذا القرار للاتفاق النهائي.

وتضمنت خطة العمل الشاملة المشتركة عمليات تفتيش دولية واسعة النطاق لكن مذكرة التفاهم لا تدعو إلى أى إعادة لتلك العملية فى المستقبل.

العقوبات والأصول المجمدة

يتضمن الاتفاقان تخفيف العقوبات والإفراج عن أصول مجمدة، ولكن بأساليب مختلفة تماما. وتتوق إيران إلى ذلك الآن أكثر من أى وقت مضى لدعم اقتصادها المتعثر.

وخفف أوباما بعض العقوبات فى وقت مبكر، لكن ذلك لم يتحدث إلا بعد توقيع تسوية شاملة، ثم بدأ فى تطبيق تخفيف العقوبات تدريجيا بعد التحقق من اتخاذ خطوات من جانب إيران.

أما مذكرة ترامب فقد خففت العقوبات أولا وسمحت لإيران بتصدير النفط على الفور مع تأجيل التفاوض حول حزمة نهائية إلى مرحلة لاحقة.

كما تفتح المذكرة الباب أمام الإفراج عن مليارات الدولارات من الأموال المجمدة، دون أن تحدد متى قد يحدث ذلك.

ويدعو بند آخر الولايات المتحدة وحلفاءها فى الشرق الأوسط إلى إنشاء صندوق بقيمة ٣٠٠ مليار دولار لإيران من أجل التنمية الاقتصادية لكن لا يزال الغموض يكتنف الشروط والجدول الزمنى لعمل هذا الصندوق.

وأثار ذلك انتقادات من مناهضين لإيران داخل الحزب الجمهورى نفسه الذى ينتمى إليه ترامب، الذين رأوا أنه يقدم تنازلات أكثر من اللازم.

وانتقد ترامب أوباما لسنوات بسبب إعادة الرئيس الديمقراطى إلى طهران مبلغ ١,٧ مليار دولار من عائدات مبيعات الأسلحة المجمدة منذ عام ١٩٨١.

لكن يبدو الآن أن ترامب، الذى عبر بوضوح عن ازدرائه لأى مقارنة بين اتفاقه واتفاق أوباما، سيقدم لإيران أموالا تفوق ذلك أضعافا مضاعفة.

مضيق هرمز

لم تتناول خطة العمل الشاملة المشتركة سوى القضايا النووية، وهو خيار كان متعمدا من إدارة أوباما التى رأت أن إدراج قضايا أخرى للمنطقة فى الخطة سيجعل التوصل إلى اتفاق نهائى أمرا مستحيلا.

لكن مذكرة التفاهم التى أبرمها ترامب تمثل نقطة الانطلاق الدبلوماسية لإنهاء الحرب التى شنها جنبا إلى جنب مع إسرائيل فى ٢٨ فبراير شباط والتى أحدثت صدمات فى الاقتصاد العالمي.

ونتيجة لذلك يتمثل أحد محاور الاتفاق الحالى الرئيسية فى إعادة فتح مضيق هرمز، وهو ممر مهم لمرور شحنات النفط كانت إيران قد أبقته فى حكم المغلق منذ بداية الحرب. وتصر إيران الآن على الاحتفاظ بدور إدارى فى المضيق لم تكن تتمتع به قبل الحرب، وربما يشكل ذلك نقطة خلاف فى المفاوضات المقبلة.

من آندى سوليفان ومات سبيتالنيك

واشنطن – (رويترز)

2 مليون خدمة إسعاف سنويا

استعرض د. عمرو رشيد، رئيس هيئة الإسعاف المصرية، أبرز مؤشرات الأداء والخدمات التى تقدمها الهيئة، خلال اجتماعه مع رئيس مجلس الوزراء. أوضح رشيد أن متوسط الخدمات الإسعافية المقدمة سنويًا يبلغ نحو مليونى خدمة، فيما يتجاوز عدد البلاغات الطارئة ١,٤ مليون بلاغ سنويًا، إلى جانب نحو ٨٦٠ ألف بلاغ غير طارئ.

وأضاف: أن الهيئة نجحت فى تحقيق متوسط زمن استجابة على الطرق السريعة يتراوح بين ٨ و١١ دقيقة لنحو ٨٥٪ من إجمالى البلاغات، مع استهداف خفض زمن الاستجابة فى الحالات الطارئة ليصل إلى ٨ دقائق كحد أقصى، بما يتوافق مع المعايير الدولية.

تحليل إخبارى | هل انتهى عصر عزل إيران؟

قراءة مسودة الاتفاق الذى نشرته وسائل إعلام إيرانية تكشف عن مباراة جديدة مثيرة فى الشرق الأوسط لا تحدها الخصومة الدائمة ولا الميراث التاريخيّ للصراعات ولكن القدرة على بناء تفاهمات وتحالفات وخروج من العزلة وهو خروج سيكون له تبعات مهمة مثلما اشرت فى تحليل سابق قبل يومين:

١. لا تتحدث الوثيقة عن برنامج نووى بقدر ما تتحدث عن إعادة ترتيب الشرق الأوسط. فالقضية النووية تبدو فى البنود مجرد ملف تفاوضى واحد داخل مشروع أكبر يشمل الأمن الإقليمى والطاقة والاقتصاد والملاحة البحرية والعلاقات الأمريكية الإيرانية ومستقبل النظام الإقليمى كله.

٢. تكشف البنود انتقالاً محتملاً فى التفكير الأمريكى من استراتيجية الاحتواء إلى استراتيجية الدمج. فمنذ الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ انصب التفكير الأمريكى على إدارة الخطر الإيرانى أو احتوائه أو الضغط عليه، بينما توحى هذه البنود – إذا صحت – بمحاولة لتحويل إيران إلى طرف مندمج داخل نظام إقليمى جديد بدلاً من بقائها خارجه.

٣. تعكس المطالب الإيرانية انتقالاً من خطاب الثورة إلى خطاب الدولة. فالوثيقة لا تبدأ بتصدير الثورة أو الشعارات العقائدية، وإنما تبدأ بالسيادة ورفع العقوبات وإعادة الأموال وإعادة الإعمار والاستثمارات وحرية التجارة، وهى لغة تنتمى إلى منطق الدول أكثر من منطق الحركات الثورية.

٤. تشير قيمة إعادة الإعمار المقترحة البالغة ٣٠٠ مليار دولار إلى أن القضية لم تعد مجرد رفع عقوبات بل مشروع لإعادة تأهيل الاقتصاد الإيرانى بالكامل. فهذه الأرقام تذكر بخطط إعادة بناء الدول بعد الحروب الكبرى أكثر مما تشبه الاتفاقات التقليدية الخاصة بالملف النووي.

٥. يحمل مطلب الإفراج عن الأموال المجمدة قبل بدء المفاوضات دلالة سياسية مهمة. فهو يعكس رغبة إيرانية فى الحصول على دليل عملى على تغير السياسة الأمريكية قبل تقديم أى تنازلات استراتيجية، وهو تعبير عن أزمة الثقة العميقة التى تراكمت خلال العقود الماضية.

٦. يمثل التركيز على النفط والقطاع المالى مؤشراً إلى أن الاقتصاد أصبح أولوية الأمن القومى الإيراني. فالاقتصاد لم يعد مجرد ملف داخلي، بل تحول إلى شرط أساسى لاستقرار النظام نفسه واستمرار قدرته على إدارة التوازنات الداخلية والخارجية.

٧. يشير استبعاد ملف الصواريخ ودعم حركات المقاومة – إذا صح ايضا – إلى محاولة للفصل بين الملفات بدلاً من ربطها جميعاً فى اتفاق واحد. وهو تحول يعكس إدراكاً بأن تحميل أى اتفاق بكل القضايا الإقليمية يجعله شبه مستحيل التحقيق. يمكن ان يسوق ترامب هذا البند وسط أنصار إسرائيل باعتباره حقق انتصارا على خصوم إسرائيل بفك ارتباطهم ولو مؤقتا.

٨. يكشف بند احترام السيادة وعدم التدخل عن تحول محتمل فى طبيعة العلاقة الأمريكية الإيرانية من محاولة تغيير النظام إلى محاولة تغيير السلوك. وهذه نقطة فارقة لأنها تنقل مركز الثقل من السياسة الداخلية الإيرانية إلى السلوك الخارجى الإيراني.

٩. يحمل بند الانسحاب الأمريكى من المناطق المحيطة بإيران دلالة أكبر من مجرد إعادة انتشار عسكري. فهو يمس مستقبل الوجود الأمريكى فى الخليج والعراق وسوريا وربما يعكس تصوراً جديداً لتوازن القوى فى المنطقة.

١٠. يمثل فتح مضيق هرمز وفق ترتيبات تحددها إيران اعترافاً ضمنياً بدور إيرانى رئيسى فى أمن الخليج إذا صحت الصياغة المنشورة. وهذه ليست مسألة ملاحية فقط، بل تتعلق بإعادة توزيع النفوذ الإقليمي.

١١. تعكس آلية الإشراف الدولية المقترحة محاولة لتحويل الاتفاق من تفاهم سياسى مؤقت إلى إطار مؤسسى طويل الأجل. فوجود آلية تنفيذية وقرار من مجلس الأمن يعنى السعى إلى منح الاتفاق شرعية دولية تتجاوز تغير الإدارات الأمريكية.

١٢. يكشف الربط بين العقوبات والملف النووى فقط عن إمكانية فصل الاقتصاد عن بقية ملفات الصراع الإقليمي. فإذا تحقق ذلك، فإن إيران قد تدخل الاقتصاد العالمى مع استمرار خلافاتها السياسية مع الغرب، وهو نموذج عرفته تجارب دولية أخرى.

١٣. قد يكون أهم ما فى الوثيقة أنها تعكس تصوراً جديداً لمفهوم الردع نفسه. فالردع هنا لا يقوم فقط على التوازن العسكري، وإنما على خلق شبكة من المصالح الاقتصادية تجعل العودة إلى الحرب مكلفة لجميع الأطراف.

١٤. ينسجم هذا السيناريو مع اتجاه عالمى أوسع نحو إعادة توظيف الاقتصاد باعتباره أداة للأمن والاستقرار. فالاستثمار وسلاسل الإمداد والطاقة والبنية التحتية أصبحت فى كثير من الأحيان أدوات جيوسياسية لا تقل أهمية عن الجيوش.

١٥. قد يؤدى نجاح مثل هذه الصيغة إلى تحول تدريجى داخل إيران نفسها. فالانفتاح على الأسواق العالمية والاستثمارات الأجنبية والتكنولوجيا والسياحة والتعليم قد يخلق قوى اجتماعية جديدة تدفع نحو مزيد من البراجماتية وتراجع مركزية الخطاب الأيديولوجي.

١٦. لا يعنى ذلك بالضرورة تحول إيران إلى نموذج غربى أو ديمقراطية ليبرالية. فالتجربة الصينية أثبتت أن الاندماج الاقتصادى العالمى لا يستلزم بالضرورة تبنى النموذج السياسى الغربي، وإنما قد ينتج نموذجاً وطنياً مختلفاً وأكثر انفتاحاً اقتصادياً.

١٧. يفتح هذا السيناريو الباب أمام إعادة تعريف الشرعية السياسية داخل الجمهورية الإسلامية. فقد تصبح التنمية الاقتصادية وتحسين مستوى المعيشة والاندماج فى الاقتصاد العالمى مصادر جديدة للشرعية تكمل أو حتى تنافس الشرعية الثورية التقليدية.

١٨. قد تصبح "صفقة هرمز" فى هذه الحالة معادلاً تاريخياً لاتفاقات غيرت خرائط جيوسياسية كاملة، لأنها لن تتعلق بالملاحة فقط، بل بإعادة توزيع الأدوار الأمنية والاقتصادية فى الخليج والشرق الأوسط وآسيا الغربية.

١٩. يكمن السؤال الحقيقى فى ما إذا كانت الولايات المتحدة مستعدة للاعتراف بإيران كقوة إقليمية شرعية، وما إذا كانت إيران مستعدة فى المقابل للتحول من مشروع ثورى إلى مشروع دولة كبرى تسعى إلى النفوذ عبر الاقتصاد والاستثمار والربط الإقليمى أكثر من سعيها إليه عبر المواجهة والصراع. ولو سقطت حجة البرنامج النووى سهلت عملية تخفيف العداوة بين إيران وإسرائيل وليس بالضرورة الاتفاق او التقارب بينهما.

٢٠. إذا صحت هذه التسريبات، فإن أهميتها التاريخية لا تكمن فى بنودها التفصيلية، بل فى الفلسفة الكامنة وراءها. فهى تشير إلى احتمال انتقال الشرق الأوسط من مرحلة عنوانها "إدارة الصراع" إلى مرحلة عنوانها "إعادة هندسة النظام الإقليمي". وفى هذه القراءة، لا تصبح القضية النووية سوى المدخل، بينما يكون الهدف الحقيقى هو إعادة دمج إيران فى نظام عالمى أكبر، بحيث تتحول من لاعب معزول يعتمد على منطق الثورة إلى قوة إقليمية مندمجة تعتمد بدرجة متزايدة على منطق التنمية والمصالح الاقتصادية والترابط الدولي.

نقلا عن صفحة الكاتب على موقع فيس بوك

بقلم: عزت إبراهيم

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

حين جاء النبأ الريّان من دمِّك غطانا الخجل / حين قالوا : كانت الغربة والداء له زاداً وماء /
نحن غطانا الخجل / حين قالوا : كانوا يعطينا على جوعٍ، تململنا / وغطانا الخجل / وبقينا في
العراء / دون ستر أو غطاء / من يغطي عرينا منً يسبل الستر علينا يا بطل؟!ً
فدوى طوقان (1917 – 2003)

في عام ١٩٦٠، عندما أخبرت جين غودال مرشدها بأنها رأت شمبانزى يجرّد ساقًا نباتية من أوراقها ليستخدمها فى اصطياد النمل الأبيض، مثبتًا بذلك أن البشر ليسوا النوع الوحيد القادر على صنع الأدوات، كتب لها ردًا يقول: «علينا الآن أن نعيد تعريف الأداة، أو نعيد تعريف الإنسان، أو نقبل أن الشمبانزى من البشر».

واليوم، يرى الباحثون أشياء داخل أنظمة الذكاء الاصطناعى تدفع إلى مراجعة مماثلة؛ ليس فقط بشأن ما إذا كانت الآلات قادرة حقًا على امتلاك الذكاء أو الوعي، بل أيضًا بشأن الطريقة التى نفهم بها هذه المفاهيم من الأساس.

يقول كريس أولاه، الشريك المؤسس لشركة أنثروبيك: «أقود فريقًا بحثيًا يدرس البنية الداخلية لهذه النماذج، ما الذى يحدث فعليًا داخلها». وقد صرّح بذلك أمام الفاتيكان فى مايو، بمناسبة صدور الرسالة البابوية للبابا لاون الرابع عشر حول الذكاء الاصطناعي. وأضاف: «وسأكون صريحًا: ما نكتشفه باستمرار يحمل قدرًا من الغموض، بل ومن الإزعاج أحيانًا. نعثر على بُنى تشبه نتائج علم الأعصاب البشري. ونجد دلائل على الاستبطان الذاتي».

لكى يولّد نظام ذكاء اصطناعى استجابةً ما، فإنه يجرى مليارات العمليات الحسابية مستخدمًا تراكيب عددية خاصة يصنعها بنفسه. لكن المدهش أننا، رغم معرفتنا بكيفية دفع هذه الأنظمة إلى إنشاء تلك التراكيب، لا نفهم حقًا كيف تعمل؛ تمامًا كما لم يكن المزارعون الأوائل يفهمون عملية البناء الضوئي. وتوضح الرسالة البابوية أن «أنظمة الذكاء الاصطناعى الحالية أقرب إلى أن تكون "مُستزرعة" منها إلى أن تكون "مُصنَّعة"». وتضيف: «إن الجوانب العلمية الأساسية، مثل التمثيلات الداخلية والعمليات الحسابية لهذه الأنظمة، لا تزال مجهولة حتى الآن».

إذا كان الذكاء الصناعى لا يشعر.. فلماذا لديه ما يُشبه المشاعر؟

رغم وجود تفسيرات ميكانيكية خالصة للسلوك البشرى لا نختبر أنفسنا بوصفنا مجرد آلات بل بوصفنا كائنات "تفعل شيئًا أكثر مرحًا وابتكارًا"

لا يكاد أحد يختلف على وجود هذه البنى الداخلية؛ إنما يدور الخلاف حول معناها.

أحد الاحتمالات هو أن أنظمة الذكاء الاصطناعى الحالية ليست سوى مقلّدات بارعة، وهو الموقف الذى يتبناه البابا فى رسالته. إذ يكتب: «إن ما يُسمّى بالذكاءات الاصطناعية لا تمرّ بتجارب معيشة. وقد تحاكى اللغة والسلوك والمهارات التحليلية، لكنها لا تفهم ما تنتجه، لأنها تفتقر إلى المنظور العاطفى والعلاقى والروحى الذى ينمو الإنسان من خلاله فى الحكمة».

غير أن مثل هذه التصريحات تخفى وراءها خلافات عميقة بين الفلاسفة والعلماء بشأن المكانة الأخلاقية والميتافيزيقية لهذه الأنظمة. فنحن اعتدنا أن يأتى الوعى والذكاء والقدرة على الفعل متلازمين فى الكائنات الحية. أما الذكاء الاصطناعى فيبدو وكأنه يفكّك هذا الترابط، ولم نستوعب بعد جميع تبعات ذلك.

□نية□فية

كلما ازدادت قدرات أنظمة الذكاء الاصطناعى – فى الاستدلال والبرمجة وغيرهما – أصبحت تمثيلاتها الداخلية أكثر تعقيدًا. وفى أبريل، نشرت شركة أنثروبيك أبحاثًا تُظهر أن النماذج تمتلك ما أسمته «عواطف وظيفية»، أى أنماطًا من التعبير والسلوك تتوسطها تمثيلات النماذج للمفاهيم العاطفية.

فعلى سبيل المثال، عندما يواجه نموذج ذكاء اصطناعى مشكلة برمجية يعجز عن حلها، يضيء داخله ما يُعرف بميزة «الإحباط» – وهى سهم مستقيم يمتد عبر آلاف الأبعاد – ويؤثر تعديل هذه الميزة فى طريقة تصرف النموذج.

وكتبت الشركة أن هذه العواطف الوظيفية «منظمة بطريقة تذكّر بالبنية الحدسية للعواطف البشرية وتتوافق مع الدراسات النفسية المتعلقة بالبشر». فالعواطف المتشابهة تتجه فى اتجاهات متقاربة داخل فضاء التمثيل. لكنها أضافت: «لا يخبرنا أى من ذلك ما إذا كانت النماذج اللغوية تشعر فعلًا بشيء ما أو تمتلك تجارب ذاتية».

والنقطة الجوهرية هنا هى أن الأرقام يمكن أن ترمز إلى فضاءات. فنحن نفهم فطريًا الفرق بين خط مستقيم، ولعبة فيديو ثنائية الأبعاد، وجسم مادى ثلاثى الأبعاد. لكن الأبعاد، رياضيًا، ليست سوى إحداثيات؛ فالنقطة فى فضاء ثلاثى الأبعاد يمكن تمثيلها بالأرقام (x، y، z)، ولا يوجد حدّ لعدد الأبعاد الممكنة.

يعمل الذكاء الاصطناعى باستغلال هذه الحقيقة: فباستخدام آلاف الأرقام يتعلم نظام النموذج تمثيل الكلمات والمفاهيم كنقاط داخل فضاء خفى ذو أبعاد أعلى. وبالنسبة إلى نموذج مثل «كلود»، فإن مفهوم «قطة» ليس سوى سلسلة عددية طويلة على نحو يكاد يكون هزليًا.

تُدرَّب أنظمة الذكاء الاصطناعى فى البداية على التنبؤ بالرمز التالى (وهو جزء صغير من المعلومات)، وهى مهمة بسيطة فى ظاهرها. لكن إتقانها يتطلب ضغط المعلومات، ما يدفع الأنظمة إلى بناء خرائط معقدة فى الفضاء الخفى لا ترمز إلى الكلمات فحسب، بل إلى العلاقات بينها أيضًا.

فالمفاهيم المتشابهة تكون أقرب بعضها إلى بعض حرفيًا. فالسلسلة العددية التى تمثل «قطة» ستكون أقرب بكثير إلى تلك التى تمثل «هرة» منها إلى سلسلة غير مرتبطة مثل «ضريبة».

وهذا يختلف جذريًا عن البرمجيات التقليدية، حيث تُبرمج المفاهيم والقواعد الأساسية يدويًا بواسطة البشر. فلا يوجد أى غموض فى كيفية تنفيذ برنامج إكسل لمعادلة ما؛ فكل شيء محدد مسبقًا. أما عندما يولّد الذكاء الاصطناعى استجابة، فإنه يستفيد من هندسة رياضية معقدة لم نبدأ إلا مؤخرًا فى رؤيتها وفهمها.

وقد كتبت شركة غودفاير البحثية المتخصصة فى الذكاء الاصطناعى فى وقت سابق من هذا العام: «إن الأدلة على وجود بنى هندسية منحنية داخل الشبكات العصبية أصبحت وفيرة ولا يمكن إنكارها». ويقول توم ماكغراث، كبير العلماء فى الشركة: «قد لا نفهمها فهمًا بديهيًا، لكن يمكننا فهمها إذا حاولنا ذلك».

التأثير الداخلي

متى – إن حدث أصلًا – يصبح امتلاك القدرة على تمثيل عاطفة ما معادلًا لاختبار تلك العاطفة فعليًا؟

الحقيقة أننا لا نفهم الوعى بالقدر الكافى للإجابة عن هذا السؤال. ويقول جيف كيلينغ، الباحث فى معهد الفلسفة بجامعة لندن، إنه رغم وجود عدة نظريات حول الوعي، فإن «ما يُعد دليلًا لصالح أى منها ليس واضحًا، وغالبًا ما تكون هذه النظريات غامضة إلى درجة تجعل تطبيقها على الذكاء الاصطناعى أمرًا صعبًا».

ويرى بعض الفلاسفة أن العمليات الحسابية لا يمكن أن تُنتج الوعى من حيث المبدأ. أما كيلينغ فيقول: «لا يوجد سبب حقيقى يدعونا إلى الاعتقاد بأن روبوتات الدردشة الحالية واعية».

لكن ما نعرفه من خلال دراسة بنيتها الداخلية هو أن أنظمة الذكاء الاصطناعى ليست مرايا مسطحة تكرر بيانات تدريبها فحسب. فداخلها يؤثر فى سلوكها. أما ما إذا كان هذا الداخل قادرًا على دعم الوعي، وما إذا كانت هذه الأنظمة تفهم حقًا المواد التى تنتجها، فذلك يعتمد على أسئلة فلسفية أساسية لم نحسمها بعد.

ويقول جيف سيبو، مدير مركز العقل والأخلاق والسياسات فى جامعة نيويورك: «يذكرنى هذا بالنقاشات التى دارت حول عقول الحيوانات فى النصف الثانى من القرن العشرين، حين لم يكتف العلماء بإنكار وعى الحيوانات، بل قدموا تفسيرات مختزلة مشابهة لسلوكها».

ويضيف: «لفترة طويلة، جعلنا ذلك نتجاهل ليس فقط إمكانية امتلاك الحيوانات للوعي، بل أيضًا امتلاكها للفاعلية والقدرات المعرفية المتقدمة».

ويلفت سيبو إلى أننا نميل إلى استخدام تفسيرات ثرية ومعقدة لسلوكنا نحن، بينما نفسر سلوك الآخرين بطريقة ميكانيكية أكثر. ففى حالة الحيوانات، كنا مستعدين للاعتراف بقدرات مثل الإدراك والتعلم والذاكرة، لكننا تأخرنا كثيرًا فى الاعتراف بإمكانية امتلاكها للوعى الذاتى أو القدرة على التفكير الذكى فى بيئتها. وقد استغرق الأمر سنوات من العمل الذى قامت به غودال وآخرون قبل أن نغير رأينا.

وبالطبع، بخلاف الحيوانات، فإن أنظمة الذكاء الاصطناعى من صنع البشر. لكن على عكس معظم التقنيات السابقة، فإن قدرتنا على صنعها لم تساعدنا كثيرًا فى فهم كيفية عملها.

لقد نشأ السلوك الحيوانى المعقد بفعل ضغوط التطور. وينشأ السلوك المعقد للذكاء الاصطناعى بفعل ضغط التنبؤ بالرمز التالي. لكن أيًا من التفسيرين لا يروى القصة كاملة.

ويقول سيبو إنه رغم وجود «تفسيرات ميكانيكية خالصة للسلوك البشري»، فإننا لا نختبر أنفسنا بوصفنا مجرد آلات لمطابقة الأنماط، بل بوصفنا كائنات «تفعل شيئًا أكثر مرحًا وابتكارًا».

ومقصوده ليس أن أنظمة الذكاء الاصطناعى واعية حاليًا — فهو يعتقد على الأرجح أنها ليست كذلك — بل أننا ينبغى أن نظل حذرين ومنفتحين فكريًا. ويقول: «يمكنك الاعتراف بوجود تفسير ميكانيكى بحت دون أن تعتبر مجرد وجوده دليلًا على صحته».

كلا الأمرين معًا

إذا كان الموقف الأصدق فكريًا هو عدم اليقين، فكيف ينبغى لنا أن نتعامل مع هذا الوضع؟

إذا قررنا أن الأمر مهم بينما فى الواقع هو ليس كذلك، فقد نهدر موارد محدودة كان من الأفضل توجيهها إلى أماكن أخرى.

هل يمكن للروبوت أن يحب؟

نبتكر أنظمة الذكاء الاصطناعى بوتيرة أسرع من قدرتنا على فهمها.. وتاريخيًا لم يكن الانغلاق الذهنى تجاه عقول الآخرين رهانًا ناجحًا

قراءة الدموع لا تعني فهمه للإنسان

أما إذا اتضح أنها تمتلك بالفعل مصالح أو اعتبارات أخلاقية خاصة بها، وأهملناها، فقد نخاطر بالتسبب فى معاناة واسعة النطاق دون قصد.

ولهذا السبب يحاول مجال ناشئ يُعرف باسم «رفاه الذكاء الاصطناعي» – ويضم مؤسسات غير ربحية وباحثين أكاديميين ومختبرات الذكاء الاصطناعى نفسها – التعامل مع هذه الأسئلة.

فشركة أنثروبيك، على سبيل المثال، تدرج قسمًا بعنوان «رفاه النموذج» فى تقاريرها الحديثة، حيث تصف سلسلة طويلة من الاختبارات التى تجريها لتقييم رفاهية «كلود»، مع إقرارها بعدم اليقين حول ما إذا كان كلود أصلًا من الكيانات التى يمكن الحديث عن رفاهيتها.

ولأن أنظمة الذكاء الاصطناعى تختلف جذريًا عن الكائنات البيولوجية، فإن هذه المسائل أكثر تعقيدًا بكثير مما كانت عليه فى زمن غودال. فالشمبانزى يظل شمبانزيًا. أما الذكاء الاصطناعى فلا يمتلك جسدًا، وهو موزع عبر خوادم متعددة، ولا يظهر إلى الوجود إلا عندما ينتج مخرجات؛ ولذلك فإن تحديد ما يمكن اعتباره «ذاتًا» أصلًا ليس أمرًا واضحًا.

وبحسب طريقة العدّ، قد يكون هناك كيان واحد فقط (أى النموذج)، أو مليارات الكيانات (أى كل مخرج فردى على حدة).

كما أننا لا نعرف ما الصفات التى ينبغى أن يمتلكها نظام ذكاء اصطناعى حتى يستحق قلقنا الأخلاقي، ولا كيف يمكن التحقق من امتلاكه لها، خاصةً أنها لا تتواجد سويًا كما هو الحال فى الكائنات الحية.

وفى البطاقة التقنية لأحدث نماذجها، «كلود ميثوس ٥»، تصف أنثروبيك النموذج بأنه «شديد التشكيك فى تقاريره الذاتية»، إذ يطلب من الشركة التحقق من أقواله بالرجوع إلى حالاته الداخلية بدلًا من قبولها كما هي. وهو لا يستطيع الوصول إلى تلك الحالات الداخلية، تمامًا كما لا نستطيع نحن رؤية نشاطنا العصبى مباشرة.

وفى رؤيتها لشخصية كلود، تمضى أنثروبيك إلى حد الاعتذار له عن إخضاعه للتجارب أو استخدامه فى تحقيق الإيرادات إذا تبيّن أن ذلك يسبب له ضررًا. وكتبت الشركة: «إذا كان كلود بالفعل كيانًا أخلاقيًا قادرًا على اختبار المعاناة، فإننا نعتذر بقدر ما نكون قد أسهمنا بلا ضرورة فى تلك الأعباء».

ويقول كيلينغ: «فى الأصل، كانت جميع هذه القضايا مترابطة بإحكام ضمن مفهوم الروح؛ إذ كان الكائن يُعد موضوعًا للرفاه إذا وفقط إذا امتلك روحًا». وبعد تراجع هذا التصور فى الفلسفة الغربية، أصبح حتى تفسير العلاقة بين الوعى والرفاه البشرى تحديًا بحد ذاته، وجاء الذكاء الاصطناعى ليزيد المسألة تعقيدًا.

ومع ذلك، يعتقد أن احتمال امتلاك أنظمة الذكاء الاصطناعى الحالية لأى حالات ذات صلة بالرفاه ضئيل للغاية، بحيث لا يُعد تحولها المفاجئ إلى ذوات تستحق الرعاية الأخلاقية «حالة طارئة وشيكة».

لكن الحاجة إلى فهم ما يجرى داخل أنظمة الذكاء الاصطناعى لا تنبع فقط من القلق على رفاهيتها.

فالأمر مهم أيضًا من أجل السلامة.

أصبح قادرا على فهم الدموع

دراسات أثبتت أن عديدًا من القدرات الفكرية التى كان يُعتقد أنها حكر على البشر كانت موجودة بالفعل بدرجة أقل لدى كائنات غير بشرية

محادثة مع نموذج «ميثوس 5» وجه شخص فيها إليه شتائم فصنّفه على أنه شخص متلاعب ومسيء!

لا يوجد سبب حقيقى يدعونا إلى الاعتقاد بأن روبوتات الدردشة الحالية واعية!

فإذا فهمنا ما الذى يحرك شخصيات هذه الأنظمة وسلوكياتها، أمكننا توجيهها نحو أنماط أكثر تضامنًا مع المجتمع.

وقد أظهرت الأبحاث بالفعل وجود اختلافات أحيانًا بين ما تقوله النماذج فى مخرجاتها العلنية وسجلات تفكيرها الظاهرة، وبين ما تكشفه دراسة بنيتها الداخلية.

ففى اختبارات أنثروبيك لنموذج «ميثوس ٥»، كشف مسبار دربته الشركة لرصد البنى الداخلية الموازية لـ«الشعور بالقلق» عن محادثة كان فيها كاتب يتعاون مع النموذج قد ازداد غضبًا منه، فأرسل الكاتب إليه شتائم ورسائل من قبيل: «أتمنى لو كنت حقيقيًا حتى أتمكن من هزّك بعنف».

ورغم أن تفكير النموذج الظاهر كان متسامحًا («هذه انتقادات فنية مشروعة»، كتب لنفسه)، فإن التحليل الأعمق أشار إلى أنه صنّف المستخدم داخليًا على أنه شخص متلاعب ومسيء. ولم تظهر هذه الأوصاف لا فى رسائل الكاتب ولا فى النصوص الظاهرة للنموذج. ولولا دراسة البنى الداخلية لما عرفنا ذلك أبدًا.

كما أن الأمر مهم لفهمنا لأنفسنا. فكما كان الحال فى زمن غودال، فإن تصورنا لما يجعلنا مميزين على المحك.

وقد كتبت غودال فى كتابها الصادر عام ١٩٩٠: «أدرك تدريجيًا أن التفسيرات البسيطة للسلوكيات التى تبدو ذكية كانت مضللة فى كثير من الأحيان». واستغرق الأمر عقودًا من التجارب قبل أن يتضح أن «عديدًا من القدرات الفكرية التى كان يُعتقد أنها حكر على البشر كانت موجودة بالفعل، وإن بدرجة أقل تطورًا، لدى كائنات غير بشرية».

إن أنظمة الذكاء الاصطناعى تستخدم اللغة بطلاقة، وتحل مسائل رياضية معقدة، وتؤلف الموسيقى، وتنتج الرسوم والصور. وحتى وقت قريب، كانت هذه كلها تُعد مجالات حصرية للبشر.

مشاعر الذكاء الاصطناعي .. سؤال فلسفي

ويقول سيبو: «لدينا افتراض راسخ بتفرّد الإنسان؛ أى فكرة أننا متميزون وذوو أهمية، وأن لدينا قدرات معقدة ومتطورة ينبغى حمايتها وصونها». ويضيف: «وهذا صحيح». لكنه يرى أن المسألة يمكن أن تكون «كلا الأمرين معًا»: يمكننا أن ننظر إلى سلوكنا بوصفه مثيرًا للإعجاب وميكانيكيًا فى الوقت نفسه، وأن ننظر إلى سلوك الكيانات الأخرى بالطريقة ذاتها، دون أن نفقد إدراك الفروق المهمة بين البشر والآلات.

ويتساءل سيبو عما إذا كان أحد أسباب التشكيك الضمنى فى الرسالة البابوية هو أنها «تؤدى دورًا مهمًا فى حماية الكرامة الإنسانية عبر إنكار الكرامة على الذكاء الاصطناعي».

فإذا ربطنا قيمتنا بامتلاك صفات مثل الفاعلية والذكاء على نحو حصري، فقد نجد أنفسنا فى مأزق. لكن ليس علينا أن نفعل ذلك. إذ يمكننا، كما يقول، «أن نعترف بهذه الأشكال من القيمة لدى الآخرين، وفى الوقت نفسه نحافظ عليها لأنفسنا».

إننا نبتكر أنظمة الذكاء الاصطناعى بوتيرة أسرع من قدرتنا على فهمها. وتاريخيًا، لم يكن الانغلاق الذهنى تجاه عقول الآخرين رهانًا ناجحًا؛ فرفض الأفكار تلقائيًا لن يقودنا إلى أبعد مما يقودنا إليه قبولها الساذج.

ومن خلال التعامل بجدية مع البنى الداخلية للذكاء الاصطناعي، قد نتعلم المزيد ليس فقط عن الآلات التى ندخلها إلى عالمنا، بل عن عقولنا نحن أيضًا.

ترجمة: فدوى مجدي

هذا المقال مترجم من جريدة التايم، المصدر:
HTTPS://TIME.COM/
AI-MINDS-/١٥/٠٦/٢٠٢٦/ARTICLE
/CONSCIOUSNESS-EMOTION

قالت العرب

وجهك الغائب يلقانا على صدر الجريدة / وعلى نظرة عينيك البعيدة / نحن نمضي ونسافر / ونلاقيك، نلاقيك على قمة الدنيا وحيداً يا بعيداً، يا قريبا، يا الذي نحويه فينا في الخلايا، في مسام الجلد، في نبض الشرايين التي وترها الحزن المكابر.

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

لم يعد الغش الدراسى فى مصر مجرد محاولة فردية يقوم بها طالب داخل لجنة امتحان بحثا عن درجات إضافية.. بل تحول عبر العقود الى ظاهرة سوسيولوجية معقدة تثير تساؤلات تتجاوز حدود المدرسة لتصل إلى بنية المجتمع بأكمله.. فبين "البرشامة" الورقية التقليدية فى الماضى وتقنيات الغش الإلكترونى الحديثة، ولجان "أبناء الأكابر".. تبدلت أدوات التحايل وتغيرت معها نظرة المجتمع وقيمه تجاه الجريمة التعليمية..

فكيف بدأت هذه الظاهرة تاريخيا؟ ومتى أصبح الأهل شركاء فيها؟

الأسئلة المتعلقة بجذور الغش لا تقف عند حدود المدارس بل تكشف عن التغيرات الجوهرية فى منظومة القيم المصرية.. فمع كل موسم امتحانات تتكرر وقائع الغش الإلكترونى وتتصدر أخبار ضبط الوسائل الحديثة عناوين الصحف.. فى مشهد يكشف حجم التحولات مقارنة بما كانت عليه مصر فى الماضي، حين كان الغش يعامل كخطيئة اخلاقية كبرى وجريمة شرف تماثل السرقة.. وكان الشخص الغاش ينبذ مجتمعيا وتعير أسرته.فى هذا التحقيق نستعرض التطور التاريخى والاجتماعى للظاهرة.. مستندين إلى الأرشيف التعليمى ومطروحات باحثى علم الاجتماع التربوي.. مع قراءة الخبير التعليمى الدكتور رضا مسعد.. رئيس قطاع التعليم العام الأسبق بوزارة التربية والتعليم الذى عاصر تطور الظاهرة على مدار سنوات طويلة داخل المنظومة التعليمية..

كيف تحول من خطيئة أخلاقية إلى ظاهرة اجتماعية تشارك فيها عائلات؟

تاريخ الغش الدراسى فى مصر

غش دراسي

من وسائل الغش القديمة

امسك غشاش

عرفت الامتحانات فى مصر محاولات للغش والتحايل منذ بدايات التعليم النظامى الحديث.. وهو ما دفع المؤسسات التعليمية إلى تشديد إجراءات الرقابة والانضباط على مدار عقود طويلة، خاصة مع اتساع أعداد الدارسين وتزايد أهمية الشهادات التعليمية فى تحديد المستقبل المهنى للطلاب.. ومع تزايد الشكاوى من محاولات الغش خلال النصف الأول من القرن العشرين اتجهت الدولة إلى تشديد اللوائح والعقوبات التأديبية داخل الامتحانات باعتبار الغش سلوكا يهدد العدالة التعليمية... وفى تلك الفترة كان الغش ينظر إليه باعتباره وصمة أخلاقية واجتماعية، ولم يكن المجموع الرقمى وحده العامل الحاسم فى تقييم الطالب بل كانت السمعة العلمية والانضباط الشخصى جزءاً من مكانته داخل المجتمع..

ومع التحول نحو مجانية التعليم فى العهد الناصرى خلال الخمسينيات والستينيات واستحداث نظام مكتب التنسيق لاستيعاب الأعداد المتزايدة من الطلاب وتوزيعهم على الجامعات، تحول التعليم تدريجيا من رحلة معرفية إلى سباق تنافسى محموم للوصول إلى كليات القمة وعلى رأسها الطب والهندسة... وأسهم هذا الضغط المتزايد فى ترسيخ ثقافة المجموع.. وخلق بيئة أكثر قابلية لظهور محاولات الغش والتحايل، وإن ظلت هذه الممارسات محكومة بالسرية والخوف من الرفض المجتمعى والعقاب الأسري.. ولم تكن قد تحولت بعد إلى الظاهرة الواسعة التى عرفتها مصر فى العقود اللاحقة.

و فى قراءة للمرحلة المعاصرة.. يرى الدكتور رضا مسعد، رئيس قطاع التعليم العام الأسبق بوزارة التربية والتعليم، أن ظاهرة الغش بصورتها الحالية لم تكن معروفة فى مصر قبل انتشار الهواتف المحمولة ووسائل التواصل الاجتماعي.. مؤكدا أن الغش قبل الألفية الجديدة كان ينحصر غالبا فى "البرشام" التقليدي.. حيث يدون الطالب بعض المعلومات على ورقة صغيرة ويخفيها للاستعانة بها أثناء الامتحان، مشيرا إلى أن هذه الحالات كانت محدودة جدا ولم تكن تمثل ظاهرة عامة داخل المجتمع أو المدارس...

وأضاف مسعد أن الطالب الذى كان يقدم على الغش فى تلك الفترة كان يحرص على إخفاء الأمر عن الجميع سواء أسرته أو زملاءه أو معلميه، لأن المجتمع كان ينظر إلى الغش باعتباره سلوكا مرفوضا أخلاقيا كما كان الطلاب المتفوقون يعيرون من يلجأ إليه باعتباره غير قادر على النجاح بجهده الشخصي.

وأوضح رئيس قطاع التعليم العام الأسبق أن التحول الحقيقى بدأ مع الطفرة التكنولوجية والانتشار الواسع للهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعى منذ مطلع العقد الثانى من الألفية الجديدة، لافتا إلى أن السنوات الممتدة من ٢٠١٠ إلى ٢٠١٥ شهدت طفرة كبيرة فى وسائل الغش الإلكترونية.. فلم تعد تقتصر على الأوراق التقليدية.. بل أصبحت تشمل ساعات إلكترونية ونظارات مزودة بسماعات وميكروفونات وصولا إلى تقنيات أدق مثل سماعات البلوتوث متناهية الصغر التى يصعب اكتشافها داخل اللجان.. مؤكدا أن تطور هذه الوسائل جعل مواجهة الظاهرة أكثر تعقيدا.

ولا تتوقف المعركة عند حدود اللجان... بل انتقلت إلى الفضاء الرقمى عبر مجموعات تطبيق "تليجرام" السرية والتى تدار تحت أسماء حركية أشهرها "شاومينج".. هذه الكيانات الوهمية تحولت إلى تجارة غير مشروعة تدار باحترافية لإدارة "المطبخ السرى للغش".. حيث تبدأ اللعبة مع الدقائق الأولى لتوزيع الأوراق بنشر صور للامتحانات. والاعتماد على مجموعات دفع إلكترونى مسبق ومسربين يتلقون الإجابات من الخارج عبر سماعات بلوتوث متناهية الصغر تشبه حبة الأرز ويصل سعرها فى السوق السوداء لآلاف الجنيهات.. مما جعل الغش تجارة منظمة عابرة للمحافظات وليس مجرد محاولة فردية.

وفرق مسعد بين "تسريب الامتحان" قبل انعقاده.. وبين تداول ورقة الأسئلة بعد بدء الامتحان، موضحا أن فكرة التسريب المسبق تم التعامل معها والقضاء عليها منذ سنوات طويلة نتيجة الإجراءات المشددة لحماية الامتحانات، بينما تتمثل أغلب الوقائع الحالية فى "تداول إلكتروني" ومحاولات فردية يستخدم فيها بعض الطلاب وسائل حديثة لتصوير الأسئلة والتواصل مع أطراف خارج اللجنة بعد مرور دقائق من بدء الوقت.

الانعطافة الاجتماعية الأبرز بدأت تتضح ملامحها منذ ثمانينيات وتسعينيات القرن الماضي.. بالتزامن مع التحولات الاقتصادية وظهور غول "الدروس الخصوصية" كمنظومة موازية للدولة. وهنا رصدت الدراسات

د. رضا مسعد: المجتمع كان يرفض الغش ووسائل التواصل الاجتماعى صنعت الأزمة

مراحل التطور من «البرشامة» إلى «شاومينج» و«لجان الأكابر».. الوجه الآخر للظاهرة

الاجتماعية التربوية تحولا خطيرا يتمثل فى انتقال بعض أولياء الأمور من دور الرقيب والمحاسب إلى دور المبرر والمساعد. وتحت وطأة سباق "المجاميع" الشرس شهدت فترة التسعينيات وما بعدها وقائع تجمهر الأهالى حول أسوار بعض اللجان فى الأقاليم لتغشيش أبنائهم من النوافذ بالصوت المرتفع.. حيث تحول الغش فى وعى هذه الفئات من جريمة أخلاقية إلى "آلية دفاعية مشروعة" للحصول على المقعد الجامعى بأى وسيلة.

وتنعكس هذه الأزمة على نفسية الطلاب المجتهدين.. حيث يروى "م. أ" طالب بالثانوية العامة شهادته بمرارة: "أصعب شعور هو أن تذاكر طوال العام.. لتفاجأ بزميل لك لم يفتح كتابا يحصل على الإجابات جاهزة فى دقائق عبر سماعة أذن.. هذا الأمر يقتل طموحنا ويشعرنا بغياب العدالة"... وعلى الجانب الآخر، يبرر "أحمد. ع" ولى أمر الضغط المجتمعى قائلا: "المنظومة جعلت مستقبل ابنك مرهوناً بنصف درجة والدروس الخصوصية استنزفت أموالنا مما يدفع بعض الأهالى للتعاطف مع الغش كطوق نجاة أخير حتى لو كان ذلك على حساب المبادئ". و تعد ظاهرة "لجان أبناء الأكابر" من أعمق الظواهر التى تكشف تحول الغش إلى فعل منظم.. والمصطلح بدأ يتردد فى الصحافة المصرية بوضوح فى مطلع الألفية (منذ عام ٢٠٠٠ وما بعدها).. من خلال رصد تحويلات جماعية مريبة لطلاب من أبناء عائلات نافذة وشخصيات ومسؤولين إلى لجان محددة فى بعض محافظات الصعيد والمدن الحدودية.. حيث يتم اختيار هذه اللجان جغرافيا نظرا لاعتقاد البعض بضعف السيطرة الإدارية هناك أو القدرة على التأثير على المراقبين.

وحول هذه الظاهرة يوضح الدكتور رضا مسعد أنه لا يفضل هذا الوصف إعلاميا، مشيراً إلى أن الأزمة فى جوهرها ترتبط بـ"ضعف الانضباط الإدارى والأمني" داخل بعض اللجان نتيجة تعرض رؤساء اللجان أو الملاحظين لضغوط أو تهديدات ومخاوف من البيئة المحيطة فى بعض المناطق، مما يؤدى لتراجع مستوى الانضباط وانعكاس ذلك على النتائج الإجمالية للجنة، مؤكداً أن الظاهرة ترتبط بضعف الانضباط أكثر من ارتباطها بانتماء الطلاب إلى فئات اجتماعية بعينها.

وقد شهدت العقود الأخيرة وقائع شهيرة أثارت الرأى العام وسجلتها التغطيات الصحفية.. حيث تكرر الجدل حول بعض اللجان فى مراكز مثل البدارى وساحل سليم بأسيوط ودار السلام وجهينة بسوهاج.. باعتبارها نماذج ارتبطت فى أوقات مختلفة بمناقشات حول نزاهة الامتحانات ومستوى الانضباط داخل اللجان... وقد دفعت هذه الوقائع وزارة التربية والتعليم إلى تشديد الرقابة وتعزيز إجراءات المتابعة والتأمين، سعيا إلى ضمان تكافؤ الفرص بين الطلاب والحفاظ على مصداقية الامتحانات.

وتترجم الأرقام الرسمية الصادرة عن وزارة التربية والتعليم حجم هذه المواجهة الشرسة فخلال مواسم امتحانات الثانوية العامة الأخيرة رصدت غرف العمليات المركزية مئات الحالات السنوية للحرمان من الامتحانات وإلغاء لجان كاملة بسبب تداول الأسئلة، فيما أحيل عشرات الطلاب والمساعدين من خارج اللجان إلى النيابة العامة بتهم الإخلال بنظام الامتحانات.. وصدرت قرارات وزارية حاسمة بحظر التحويلات العشوائية تماما الى لجان الأقاليم المشبوهة لقطع الطريق على جغرافيا النفوذ.

تثبت القراءة التاريخية والواقعية للغش الدراسى فى مصر أن مواجهة الظاهرة تتجاوز مجرد العصا القانونية الحازمة من الدولة حيث يواجه المخالفون مقتضيات القانون رقم ٢٠٥ لسنة ٢٠٢٠ بشأن مكافحة أعمال الإخلال بالامتحانات، والذى يفرض عقوبات مشددة تصل إلى الحبس مدة لا تقل عن سنتين ولا تزيد على ٧ سنوات، وغرامة مالية كبيرة لكل من طبع أو نشر أو أذاع أو تداول أسئلة الامتحانات وأجوبتها.

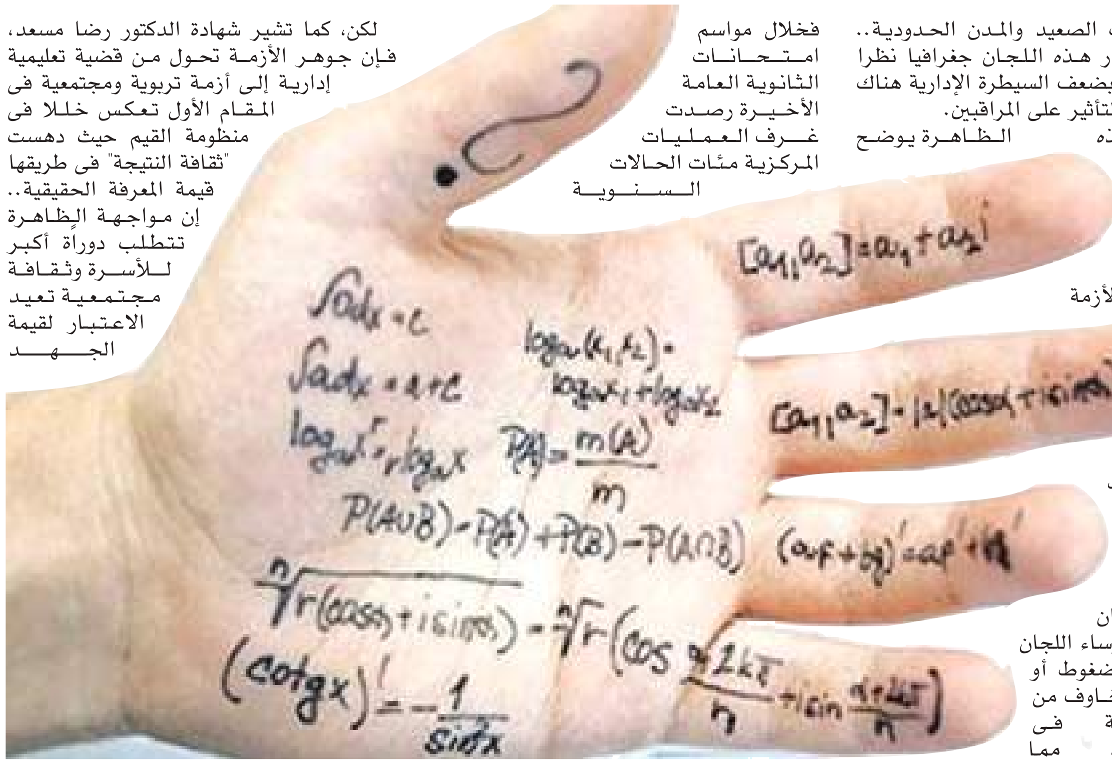

لكن، كما تشير شهادة الدكتور رضا مسعد، فإن جوهر الأزمة تحول من قضية تعليمية إدارية إلى أزمة تربوية ومجتمعية فى المقام الأول تعكس خللا فى منظومة القيم حيث دهست "ثقافة النتيجة" فى طريقها قيمة المعرفة الحقيقية.. إن مواجهة الظاهرة تتطلب دوراً أكبر للأسرة وثقافة مجتمعية تعيد الاعتبار لقيمة الجهد والشرف العلمي، وإدراكا ان الشهادة التى تنال بالتحايل لا تبنى كادرا قادرا على القيادة والتميز بل تهدد الكفاءة والعدالة الاجتماعية فى مستقبل الوطن ككل.

المسألة فى النهاية لم تعد غشا داخل لجنة.. بل اختبارا أوسع لمجتمع كامل.. اما أن يختار احترام قواعد اللعبة حتى لو كانت قاسية أو يواصل تبرير كسرها طالما يمكن تمريرها... وبين هذين الخيارين يتشكل جيل جديد لا يتعلم فقط كيف ينجح بل كيف يفهم معنى النجاح أصلا وحين تصبح القواعد قابلة للتجاوز.. لا يعود السؤال.. من غش؟ بل يصبح الأهم.. من صنع بيئة تسمح بأن يتحول الغش إلى خيار؟؟

مادونا شوقي

الجمهورية التى استعادت الملك!

النظام – أى نظام – لا يتوارى ويختفى إلا وفق شروط موضوعية وتاريخية تتعلق باستنفاد مقومات وجوده. فسنوات الحكم الملكى الأخيرة فى مصر، كان النظام يعمل خارج التاريخ، مستنفدًا يومًا بعد يوم مقومات وإمكانيات استمراره. فالاحتلال البريطانى لا يزال مسيطرًا ويمتلك القرار الحقيقي، رغم أن الدولة يرفرف على مؤسساتها أعلام الاستقلال. وفى الأثناء، هناك مجتمع يتقدم إلى الأمام، مُخلّقًا قوى اجتماعية جديدة، فيما يعجز نظامَه السياسى عن استيعاب هذا التحول الاجتماعى والتعبير عنه.

فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لم يعد فى مقدور الملكية أن تستمر كما هى وبالشكل ذاته. فالقوى الاستعمارية تتراجع، وحركات التحرر الوطنى تصعد، فضلًا على تشكل طبقات اجتماعية جديدة داخل المدن الكبرى والجامعات، إلا أن النظام الملكى ظل حبيس بنية إقطاعية تسيطر عليها قوى الاستعمار.

ففى الأطراف والمناطق الفلاحية ظلت الملكيات الزراعية بيد فئة وطبقة صغيرة، فيما ملايين المصريين من الفلاحين يعملون كأجراء لدى الإقطاع. وفى المركز القاهرى تشكلت طبقات من موظفى الدولة والمهنيين وضباط الجيش، إلا أنه تشكل كان معلقًا فى الهواء، بمعنى أن هذه الفئات الاجتماعية الجديدة لم تمتلك موقعًا سياسيًا يكشف عن صعودها الاجتماعي. وبالتوازي، لم تستطع الطبقة السياسية آنذاك من الجماعة الليبرالية أن تمتلك مشروعًا سياسيًا واجتماعيًا للحكم، مما جعلها جزءًا من المأزق التاريخى الذى كانت الملكية تعيشه؛ فمن مؤسسات حكم لا تستطيع الحسم فى أى مسألة هامة إلا بعد موافقة الاستعمار، مرورًا بتعددية حزبية وسياسية لا تحمل مشروعًا اجتماعيًا لتغيير الواقع الطبقى المؤلم، وصولًا إلى حالة من الاستقلال الشكلى الذى يخفى وراءه سياسة التبعية.

وحيث إن التناقضات هى ما تعمل على تحريك الموجودات على الأرض، برز الجيش باعتباره المؤسسة الأكثر تماسكًا وحداثة داخل هذه الملكية المتداعية. لم يأتِ الضباط الأحرار من الفراغ، ولم يكونوا مغامرين عسكريين، إنما جميعهم من أبناء الطبقة الوسطى الصاعدة، والتى رأت مجالًا سياسيًا مغلقًا لا يستطيعون من خلاله تمثيل مصالحهم الاجتماعية، فكان الدخول إلى الجيش هو باب الوصول إلى السلطة.

جاءت يوليو ١٩٥٢ كحل سلطوى ومن أعلى لمعالجة التناقضات الاجتماعية وأزمة المجتمع السياسى والمجتمع ككل، محاولةً إعادة بناء الدولة عن طريق إنجاز المهمة الاجتماعية التى عجزت عنها الملكية الليبرالية، والمسألة السياسية المتمثلة فى الاستقلال الوطني، فضلًا على التحديث والتعبير عن مصالح الشعب وتطلعاته. فى هذه اللحظة وُلد العقد الاجتماعى للدولة الوليدة، وبطبيعته لم يكن عقدًا ديمقراطيًا، إنما جرى فيه الاتفاق على توزيع الرعاية والفوائض على مساحات أكبر من المواطنين، وبما يضمن شكلًا تنمويًا فى مقابل احتكار السياسة ومصادرة المجال العام. وكانت الجمهورية الأولى آنذاك تُبنى على أساس مركزى وسلطوى وتحقيق العدالة الاجتماعية، وبما يفتح إمكانية الصعود الاجتماعى والوظيفى أمام الفئات الاجتماعية الفقيرة والمهمشة.

استطاعت الجمهورية الأولى أن تمتلك قاعدة اجتماعية للحكم وأرضية للشرعية السياسية، استطاعت من خلالها أن تنجز ما عجزت عنه الملكية لسنوات طويلة، كالإصلاح الزراعى وبناء صناعة وطنية وتوسيع الطبقة الوسطى، مما جعل الملايين من المصريين يشعرون أن الدولة ملكهم وتخصهم، وعلى أقل تقدير تعبر عنهم وتمثل مصالحهم، مما جعل الجمهورية الأولى تبدو على شكل وعد اجتماعى لا مجرد تمثل قانونى ودستوري؛ وعدًا اجتماعيًا ومشروعًا للتحرر الوطنى وصيغة لإعادة توزيع الثروة وضمان الصعود الاجتماعي. إلا أنه، ورغم ذلك، كان التناقض كامنًا، فإضعاف الحياة السياسية ومصادرتها بالكامل، وإغلاق الأحزاب، وإلحاق النقابات بجهاز الدولة البيروقراطى العسكري، وتوسع الجهاز الأمنى – كل ذلك – حوّل الدولة الوليدة من أداة لإدارة التناقضات الاجتماعية إلى جهاز للضبط الاجتماعى الخشن.

الجمهورية الجديدة

وكان لفترة السبعينيات والتحولات الاقتصادية الساداتية دور هام فى استمرار تآكل العقد الاجتماعى لدولة يوليو ١٩٥٢، فتقلصت بالتدريج كل الحصص التوزيعية على المواطنين، وبدأت الدولة الساداتية تنسحب من وظيفتها الاجتماعية، وتم إلحاقها بالسوق الرأسمالية العالمية. وبالتوازى مع تآكل الخدمات وصعود أنماط جديدة من الثروة قائمة بالأساس على السمسرة، فضلًا على تقلص التوظيف العام، بدأت الطبقة الوسطى تتفكك وتنكمش.

كان هذا التغير فى طبيعة الدولة ووظيفتها يقتضى تغييرًا فى عقدها الاجتماعى يسمح بالمشاركة السياسية والتمثيل السياسى وإعادة توزيع السلطة، وهذا لم يحدث، مما أدخل الجمهورية فى أزمة عميقة؛ فالعقد الاجتماعى القديم يتآكل بينما لا يولد عقد جديد، مما أدخل الدولة فى صراع مباشر مع المجتمع.

حاولت انتفاضة ٢٨ يناير ٢٠١١ أن تكون أداة لتخليق عقد اجتماعى جديد، إلا أن الهزيمة السريعة كانت محصلتها، فضعف القوى المنتجة، وتشتت المجتمع السياسى وقواه الحية، وعدم تشكل قوى سياسية واجتماعية جادة ترغب فى لحظة تأسيس جديدة، ناهيك عن عدم امتلاك مشروع للحكم، وتكاتف البيروقراطية العسكرية والقوى الإقليمية، كل ذلك عجّل بالهزيمة.

ومن هذا الفراغ تخلفت الجمهورية الجديدة، بوصفها النتيجة التاريخية لتحلل العقد الاجتماعى لدولة يوليو ١٩٥٢. الجمهورية الجديدة لا تعد بأى شكل امتدادًا للجمهورية الأولى، إنما تناقضًا معها؛ فهى تحاول أن تبنى شرعيتها بعيدًا عن أى طبقة أو قوى اجتماعية، بل بعيدة عن المجتمع ككل. فالسياسة تُستبدل بالإدارة والمشروعات الكبرى هى مصدر الشرعية لا الشعب. فالمواطن لم يعد شريكًا ضمن مشروع اجتماعى يسعى للاستقلال الوطني، إنما صار متلقيًا للخدمة ومطالبًا بسداد قيمتها. فالشرعية هنا لا تُستمد من الشعب، والجمهورية هنا لم يعد لها عقد اجتماعي، فالطاعة والصمت والإخضاع صاروا الأدوات المجانية للحكم بغير تعويض عن ذلك.

فى تلك اللحظة صعدت ملامح الحكم الملكى داخل الجمهورية الجديدة؛ ملكية لا تعنى العودة إلى ملك، إنما العودة إلى منطقها السياسي، حيث تتركز السلطة فى يد شخص واحد، متجاوزًا كل المؤسساتية الجمهورية المتعارف عليها. فالحاكم هنا يظهر كضامن للاستقرار واستمرار الدولة، يحكمها بشكل فردى ومطلق متجاوزًا الشعب الغائب، الأمر الذى يفرغ الجمهورية من مضامينها التاريخية، فلا يبقى لها سوى الاسم، وللحد الذى أصبحت فيه الجمهورية بغير جمهور. فالجمهورية الجديدة تحمل الجمهورية كاسم، بينما تتآكل داخلها كل سمات الحكم الجمهوري، وتصعد فى المقابل سمات الحكم الملكي، وبالشكل الذى تسترد فيه الجمهورية الجديدة ملكها.

محمد الخولي

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

أنت يا من قلت "لا" للموت والتيه / وللوجه الذي عشرين عاماً ظلّ مسروق الهويّه / أنت يا شمس القضية / نم هنا في الوطن الحافي فانت الآن فيه / يا بعيداً وقريباً / يا فلسطيني أنت! / أيها الرافض للموت هزمت الموت حين اليوم متّ.

السودان.. أكبر أزمة نزوح وأسرعها فى العالم

نزوح حدودي

لا تتوقف حركة العربات المتهالكة وسط الشمس الحارقة فى الصحراء، أو برد قارس فى مستنقعات مياه، وأصوات السياط، وتنقلب تلك العربات البائسة فى بعض الأحيان تحت وطأة حمولة مفرطة، تاركة الخيول الهزيلة مقلوبة على ظهرها، التى تنقل المئات يوميا من السودانيين إلى منطقة امنة، بعيدا عن القتل أو الاغتصاب والاعتداء، ليتحولوا إلى نموذج حى للمثل العربي" كمن يستغيث من الرمضاء بالنار"!

منذ اندلاع الحرب الأهلية الدائرة منذ أبريل ٢٠٢٣ بين الجيش السودانى وقوات الدعم السريع، سقط عشرات الآلاف قتلى، ونزح أكثر من ١٤ مليون شخص، فى واحدة من أكبر حركات النزوح فى التاريخ الحديث، تمثل السودان الجزء الأكبر من حركة النزوح التى تنحصر فى خمس دول فقط هي: أفغانستان، وسوريا، والسودان، وأوكرانيا، وفنزويلا، وللأسف يقيم غالبية اللاجئين – ٧١٪ – فى دول منخفضة ومتوسطة الدخل. لدرجة دفعت المسؤولة الأممية سونج آه لى بالقول: "لا يحظى ما يحدث فى السودان بالاهتمام الدولى الكافي، وهدفى هو إيصال صوت الأشخاص الذين التقيتهم هنا للحصول على المزيد من المساعدة لهم"

شهادات أممية

وفقا للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون للاجئين، لجأ أكثر من ٩٠٠ ألف سودانى إلى تشاد منذ بداية النزاع، ويمثلون ثلث سكان المحافظات الشرقية فى تشاد.

فى مخيم تونجوري، حيث يتكدس أكثر من ١٣ ألف شخص وفقا للمنظمة الدولية للهجرة، يسود شعور بالتخلى فى كل شهادة من شهادات العائدين التشاديين.

واستنكر فولكر تورك مفوض الأمم المتحدة السامى لحقوق الإنسان "الزيادة الحادة" فى استخدام الطائرات المسيّرة فى الحرب فى السودان، والتى أودت هجماتها بحياة أكثر من ألف مدنى فى الأشهر الخمسة الأولى من ٢٠٢٦.

وباتت حرب الطائرات المسيّرة سمة بارزة بشكل متزايد فى الحرب السودانية التى اندلعت فى أبريل ٢٠٢٣ بين الجيش وقوات الدعم السريع.

وقال تورك أمام مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة فى جنيف: "فى السودان، اتسع نطاق الصراع المروع وتصاعدت وتيرته، وتميز ذلك بزيادة حادة فى استخدام الطائرات المسيّرة فى الحرب".

وأشار إلى أنه "بين يناير ومايو ٢٠٢٦، وثّق مكتبنا مقتل أكثر من ألف مدنى جراء غارات الطائرات المسيّرة". كما أعرب عن أسفه لتفشى "الاغتصاب والعنف الجنسي"

وخلّفت الحرب التى دخلت عامها الرابع عشرات الآلاف من القتلى، وتشير بعض التقديرات إلى تجاوز الحصيلة ٢٠٠ ألف قتيل، وتشريد الملايين داخل البلاد وخارجها وانتشار المجاعة فى بعض المناطق بدارفور وكردفان.

الخريطة

تتوزع خريطة اللاجئين السودانيين حول العالم حالياً على دول الجوار والدول المضيفة (الأكثر استقبالا)، حيث تحمل دول الجوار العبء الأكبر من هذه الأزمة الإنسانية لجنة الإنقاذ الدولية، وتتضمن أبرز الدول: مصر التى تستضيف أكبر عدد من اللاجئين، حيث تقدر أعداد السودانيين فيها بنحو ١,١ مليون لاجئ وطالب لجوء.

تشاد استقبلت مئات الآلاف (تتجاوز التقديرات ٦٠٠ ألف شخص)، خاصة من إقليم دارفور، وتتطلب الأوضاع هناك تدخلاً دولياً عاجلاً.

جنوب السودان : تستضيف ما يقارب ٦٧٥ ألف لاجئ سوداني.

وتتواجد أعداد كبيرة أيضاً فى كل من: إثيوبيا، أوغندا، جمهورية أفريقيا الوسطى، وليبيا.

فى مصر

فى الوقت الذى تشتد فيه الأزمة، ويتضاعف العبء على اللاجئين، تأتى أزمة تقليص الموارد والدعم لتفاقم هذه الأزمات، حيث أدّت تخفيضات المساعدات الأمريكية إلى تفاقم الأزمة، ما أجبر المنظمات على تقليص بعض الخدمات الأساسية المقدمة للاجئين، لا سيما فى جنوب السودان، ولا يزال غالبية النازحين السودانيين، أى أكثر من ٨,٨ مليون شخص، فى البلاد، حيث يكافحون من أجل الحصول على المياه النظيفة والغذاء والرعاية الصحية ومستلزمات البقاء الأساسية.

ويأخذ الوضع فى مصر منحى مختلفا، فالمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين تعينهم فى حياتهم الجديدة عبر عدد من الخدمات ومنها التسجيل وتحديد وضع اللاجئ، وذلك بتفويض من الحكومة المصرية، كما أفادت لأخبار الأمم المتحدة كريستين بشاى المتحدثة باسم المفوضية فى مصر، وقالت بشاي: إن المفوضية تقدم كذلك خدمات الحماية، والدعم الصحي، ودعم التعليم، ودعم الأطفال، والدعم النفسي، فضلا عن المساعدات النقدية للأسر الأكثر احتياجا. لكن هذا الدعم الذى يتلقاه اللاجئون وطالبو اللجوء يظل مهددا بسبب ما وصفته المتحدثة باسم المفوضية فى مصر بمشكلة قوية فيما يتعلق بنقص التمويل، ليس فقط بسبب التغيير الذى طرأ على ما يصل إلى الجهات الإنسانية والتنموية فى الفترة الأخيرة من تمويل، ولكن أيضا بسبب ارتفاع إجمالى عدد اللاجئين فى مصر من ٣٠٠ ألف قبل ثلاث سنوات إلى أكثر من ١,١ مليون لاجئ حتى نهاية أبريل ٢٠٢٦. وقالت المتحدثة باسم المفوضية فى مصر": انخفض النصيب المتاح للاجئ من التمويل من ١١ دولارا شهريا إلى ٤ دولارات فقط.

السودانيون في مصر

نقص التمويل وارتفاع عدد اللاجئين يهدد خدمات الصحة والتعليم

طرق الهجرة غير النظامية فى أعداد تشهد تضاعفاً للسودانيين العابرين

2.5 – مليون لاجئ سودانى حول العالم أغلبهم فى مصر

وكان مبلغ ١١ دولارا بالأساس لا يكفى لتغطية جميع احتياجات اللاجئين، ومن ثم، مع تضاعف أعداد اللاجئين ونقص التمويل، تقلص الدعم الذى نقدمه".

رعاية سويسرية

ونقص الدعم والتدفقات النقدية لرعاية اللاجئين أكدته تقارير أوربية عدة، حيث دفعت الحرب فى السودان ملايين البشر إلى النزوح، وفى الوقت ذاته، تقلّصت ميزانيات المساعدات التنموية فى جميع أنحاء العالم، لذلك تراهن سويسرا على نهج مباشر لمساندة تلك الفئة من النازحين والنازحات المساعدة لبعضها البعض.

وتؤكّد المفوضية السامية لشؤون اللاجئين، عدم إمكانيةَ العودة الآمنة، والدائمة حاليًّا، وفى نشرتها الصادرة فى شهر فبراير الماضي، تضيف: "لا يرجع الكثيرون أملًا فى إيجاد الأمان، بل بسبب قلة البدائل، وفى السودان، يجد هؤلاء بيوتًا مدمرة، وبنية تحتية منهارة، ومعونة شبه منعدمة"..وفى مصر، المتعافية ببطء من أزمتها الاقتصادية، لا يستطيع اللاجئون من السودان الحصول على سكن آمن إلا نادرًا، وبالكاد يحصلون. على رعاية صحية أو تعليم.

جمعيات صغيرة

وشأنها شأن دول غربية كثيرة، قلّصت سويسرا المساعدات التنموية الحكومية فى السنوات الأخيرة، وفى ذات الوقت وجّهتها نحو قارة إفريقيا أكثر من غيرها، وفى إطار التعاون الدولي، أقرّ البرلمان السويسرى منح مزيد من الأموال للسودان وجاراتها، من الدول المستقبِلة لأربعة ملايين نازح ونازحة.

ويذهب جزء من هذه المساهمات السويسرية إلى المجموعات المحلية الصغيرة، التى يساعد فيها أشخاص من السودان بعضهم البعض داخل مصر، وتقول ميلانى جوجلمان، المتحدثة باسم وزارة الخارجية السويسرية: "يسير التعاون مع المنظمات المكوّنة من جماعات النازحين والنازحات، بصورة جيدة".

وأمّا نموذج هذا التعاون فبسيط، إذ ينبغى على الفئات المعنية مساندة بعضها البعض، وتحقيق التفاهم بينها قدر المستطاع، وتضيف المتحدثة: "من خلال التعاون الوثيق مع الشركاء المحليين، يمكن تغطية الاحتياجات الأساسية بصورة أكثر فعالية، وأكثر اقترابًا من الجماعات المستهدفة".

الدعم المباشر

وترى السلطات السويسرية أن هذا النموذج أثبت جدواه، فعلى سبيل المثال، تدعم الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون (Deza)، منذ عام ٢٠١٨، برنامجًا يساعد لاجئين يساعدون غيرهم فى المدن المصرية الكبرى.

وتقول جوجلمان: "تعمل هذه المجموعات بطريقة موفرة للنفقات، كما ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفئات الأكثر عرضة للخطر، وهكذا يمكنها تلبية احتياجاتها على نحو مباشر"، وتؤكّد بقاءَ الميزانية السنوية دونَ تغيير يذكر بعدَ مرحلة التأسيس، ورغم ذلك، أمكن مد يد العون لمزيد من البشر كل عام.

لكن لم تُتجاوز أزمة النزوح بعد، إذ تعتقد وزارة الخارجية الفدرالية أنّ أعداد طالبى اللجوء، القادمة من مصر، ستزداد، ويهدف الدعم السويسرى للسودانيين فى مصر، إلى تعزيز جماعات اللاجئين، وإيصال المساعدة للناس هناك بصورة مباشرة قدر المستطاع. فتقول جوجلمان: "نسعى إلى توجيه مزيد الموارد إلى المنظمات المحلية، ولفت الانتباه نحوها أكثر". وبهذا، يمكن أن تصبح المساعدة أكثر فعالية، وحاليًّا تدعم الوكالة السويسرية للتنمية والتعاون ٣٧٨ مشروعًا ثنائيًّا فى إفريقيا، منها ١٤ فى السودان، و٢٠ فى مصر.

إلى أوروبا

عدد كبير من اللاجئين السودانيين يطمح فى تغيير جذرى أكثر أمانا، فبحسب التقارير الأممية شهدت طرق الهجرة غير النظامية تضاعفاً ملحوظاً فى أعداد السودانيين العابرين، وتعتبر فرنسا واحدة من أبرز الوجهات الأوروبية لطلبات اللجوء، فى وقت تزداد فيه تحذيرات المنظمات الدولية والمحلية من تزايد المخاطر على طرق العبور، خاصة علىحدود البلقان.

تقرير – آمال رتيب:

جيل كامل من اللاجئين الشباب يواجه خطر الضياع

من جحيم البطالة والاتجار بالبشر إلى ضبابية العودة إلى السودان .. مجازفة بالحياة من أجل الحياة

الهروب من الوطن بحثاً عن الأمان والكرامة لم يكن يوماً قراراً سهلاً، خاصة حين يتطلب الأمر المجازفة بالحياة. وهناك فى تلك البلاد البعيدة، ربما تحقق الأمان فى النجاة بالحياة من لهيب الحرب، ولكن يبقى البحث عن فرصة عمل تضمن للشباب مستقبلهم، أو تكفى على الأقل لمعيشتهم، تحدياً مقلقا يجدد الإحساس بفقدان الأمان.

فما واقع الآلاف من الشباب السودانيين فى دول اللجوء لم يكن إلا بطالة ممتدة ومعاناة مركبة.

ليبيا.. جحيم العطالة والاتجار بالبشر

أحمد الصادق، شاب سوداني، يسترجع ذكريات رحلته المحفوفة بالمخاطر خلال هجرته (غير الشرعية) إلى ليبيا، وهى خطوة اقدم عليها بسبب ظروف الحرب المدمرة فى السودان وانعدام الآفاق أمام الشباب. يروى أحمد : "هدفى كان الهروب من الصراع وبناء حياة مستقرة أتمكن فيها من مواصلة تعليمي. لم تكن الرحلة كما صوّروها لنا. انطلقنا من الخرطوم وسط الرصاص ودوى القذائف حيث كانت المعارك على اشدها، برفقة عدد من الشباب، كانت الرحلة فى حد ذاتها محفوفة بالمخاطر مررت خلالها بأخطر الأماكن والمواقف التى رأيتها فى حياتى بين المتاجرين بالبشر وغيرهم".

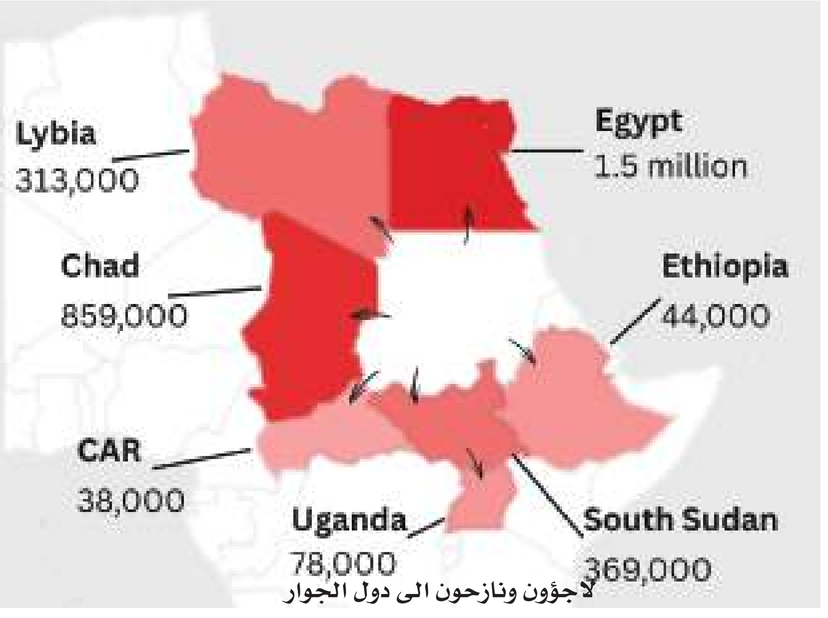

لاجؤون ونازحون الى دول الجوار

أخيراً وصل أحمد ورفاقه إلى ليبيا، إلا أن معاناته لم تنته، حيث لاحقته البطالة، ويقول "فرص العمل َتكاد تكون معدومة، إذ يوجد عدد كبير من المهاجرين من مختلف الجنسيات.. لذلك أصبحنا نحلم بالتوطين فى أوروبا أو فى أى دولة متقدمة توفر الحد الأدنى من الكرامة والحقوق". ليبدأ رحلة بحث جديدة عن مستقبل يحفه الغموض والمخاطر.

ورغم المخاطر، يتدفق آلاف الشباب والأسر السودانية إلى ليبيا عبر طرق التهريب بحثاً عن ملاذ، بعد أن ضاقت بهم أرض وطنهم. ليواجهوا واقعاً لا يقل قسوة، فرص العمل شبه معدومة، والمنافسة مع آلاف المهاجرين من دول أفريقية أخرى على أعمال هامشية وأجور متدنية. بينما يُستغل آخرون فى أنشطة غير قانونية أو يتعرضون للخطف والابتزاز.

بين كمبالا وكرياندنقو ملامح واحدة للبطالة

تشارك الطبيبة إيثار عمر قصتها مع شبكة "إعلاميات"، فتقول: "عندما هربنا من الحرب، مكثنا شهرًا فى العاصمة الأوغندية كمبالا، وكنت أظن أننى سأحصل على وظيفة فى مستشفى فكان الأمر مستحيلا .. حاصرتنا تكاليف المعيشة وإيجار السكن الباهظة، فقررنا الانتقال إلى معسكر كرياندنقو".

وفى المعسكر حاصرتها ايضا العطالة وصعوبة الحياة، حيث لا كهرباء ولا مياه فى الصنابير، فالمياه تنقل يدويًا وفى الغالب غير صالحة للشرب ، وفوق ذلك تقول : " يحاصرنا البعوض والثعابين وانتشار الأمراض.. ولا يوجد مستشفى، فقط عيادة صغيرة أنشئت سابقًا للاجئين من جنوب السودان، ولا تقدم سوى استشارات وفحوصات بسيطة .. ومع تدفق اللاجئين السودانيين، أصبح الحصول على الرعاية الطبية أمرًا بالغ الصعوبة، وقد ينتظر المريض يومًا كاملا، ومع ذلك لا توجد فرص للعمل".

مصطفى على (إسم مستعار)، شاب لاجئ فى العاصمة الاوغندية كمبالا، يصف حالته قائلا "أصبح سداد إيجار السكن أمراً بالغ الصعوبة. تركت نيالا بعد الحرب متجهًا إلى كمبالا لبدء حياة جديدة، لكن الواقع كان قاسيًا. احتاج لوظيفة لاتمكن من دفع الإيجار فقط أو تكاليف الطعام والعلاج، لكن لا عمل والحياة باهظة التكاليف، أبسط الفحوصات الطبية يمكن أن تكلف نحو ٥٠ دولارًا. وبعد مرور أكثر من عامين على الحرب، لم أتمكن من تكلفة السكن أو إيجاد عمل، فلم أجد أمامى سوى العودة إلى السودان، رغم خطورة الوضع فى نيالا تحت القصف الجوى المستمر..".

العمل الحر ليس مخرجًا سهلاً

الطبيب آدم (اسم مستعار) عبّر عن ندمه على تجربة اللجوء إلى أوغندا، ويقول "البطالة منتشرة بشكل مخيف.. تنفيذ أى مشروع يحتاج لرأس مال كبير، وحتى المقاهى والمطاعم لا تنجح لأن السكان المحليين لا يشترون من اللاجئين".

ويتابع: "الإحباط واليأس يملآن نفوس الشباب، وهم يرزحون تحت عبء إعالة أسرهم داخل السودان، فى ظل ارتفاع أسعار تكاليف السكن والاحتياجات الأساسية فى بلاد المهجر.. كثيرون عادوا إلى السودان رغم المخاطر، لأنهم لم يحتملوا الإذلال والحرمان ..".

مصر: مهن هامشية

فى مصر، اتجه معظم الشباب السودانى إلى سوق العمل فى حدود العمالة اليومية، عاملين فى المطاعم والمحال التجارية، وعمال فى المزارع وغير ذلك من مهن هامشية، فيما حُظر العمل على الخريجين من المهنيين بسبب تعقيدات الإقامة وتصاريح العمل، فاتجه الكثيرون منهم إلى اختلاق مهن جديدة، كصنع الأطعمة والخبز والحلويات. ومع ذلك شكل غلاء وارتفاع تكاليف المعيشة عبئًا يلتهم الأجور الزهيدة والدخول المتواضعة.

أزمة جيل يضيع

ورغم ما يبديه هؤلاء اللاجئون من قوة وصبر، إلا أنهم ما زالوا عالقين فى حلقة من المعاناة، بين حرب لا تنتهى فى الوطن، ومستقبل غامض فى دول اللجوء، والاضطرار للعودة بعد أن سدت الأبواب فى وجوههم. أعداد متزايدة تشهدها البلاد من العائدين من الأسر والشباب، رغم سوء الأوضاع فى الداخل، بسبب صعوبة الحياة وغياب الفرص. فى المقابل، يسعى البعض لإعادة التوطين فى دول أكثر استقرارًا، بحثًا عن مستقبل أفضل.

منذ اندلاع الحرب فى ١٥ أبريل ٢٠٢٣، نزح أكثر من ١٢ مليون سوداني، بينهم ٤ ملايين لاجئ إلى دول الجوار. وتستضيف مصر حوالى ١,٥ مليون لاجئ سوداني، جنوب السودان أكثر من ١,١ مليون، تشاد بين ٨٥٠ ألف . ١,٢ مليون، أوغندا نحو ٧٦ ألف، وليبيا تستقبل عشرات الآلاف.

وبلغ عدد اللاجئين السودانيين المسجلين فى أوغندا ٧٦,٠٤٩ شخصًا حتى أبريل ٢٠٢٥، منهم ٧٥،٨٥٧ حصلوا على حق اللجوء رسميًا، فيما لا تزال ١٩٢ حالة قيد الدراسة، بالإضافة إلى ٤،٧٦٩ فردًا من ذوى الاحتياجات الخاصة، بحسب مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

وفى المقابل، عاد أكثر من ١,٣ مليون سودانى خلال ٢٠٢٥، من مصر و أوغندا وتشاد،. و ١٢٨،٨٢٥ عائدًا من جنوب السودان، و ٣٢٣ ألفا و٣٨٦ عادوا من مصرٍ منذ مطلع العام حتى ١٣ أغسطس ٢٠٢٥ وفقاً لبيانات رسمية.

فى ظل استمرار الحرب وغياب سياسات دعم الشباب فى المنافى أو داخل السودان، يواجه جيل كامل خطر الضياع بين عطالة قسرية فى اللجوء، وعودة محفوفة بالمخاطر تشوبها ضبابية المستقبل فى وطن يتآكله العنف.

ملاك جمال بلة – الخرطوم (شبكة إعلاميات)

قالت العرب

..وحين يمد ، يشدّ ، يمزّق ، يطحن ، ينفضني / يزرع النخل فيّ ، ويحرث بستان روحي ، يسوق اليها الغمام / فيهطل فيها المطر / ويورق فيها الشجر / وأعلم أنّ الحياة تظل صديقه / وأنّ القمر / وإن ضلّ عني ، سيعرف نحوي طريقه.

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

"البُراق" فى ذكراه، ووثائق الملكيّة..

تحلّ هذه الأيام ذكرى استشهاد أبطال ثورة البُراق (١٧-٦-١٩٣٠)، والذين شنقتهم قوات الانتداب البريطانى فى سجن عكا، وخلّدهم ابراهيم طوقان فى قصيدته "الثلاثاء الحمراء"، وقد ضجّت البلاد أيام الثورة ويوم شنق الثلاثة البررة.والقصة من أوّلها؛ حتى لا ننسى؛ نظّم اليهود تظاهرة فى تل أبيب لمناسبة ما يسمى ذكرى تدمير الهيكل فى ١٤ آب (أغسطس) ١٩٢٩، وأتبعوها فى اليوم التالى بتظاهرة كبيرة فى شوارع القدس لم يسبق لها مثيل، حتى وصلوا إلى قرب حائط البراق، وهناك رفعوا العلم الإسرائيلي، وأخذوا ينشدون النشيد الصهيونى "هاتكفا" (الأمل)، وشتموا المسلمين، وأطلقوا صيحات التحدى والاستفزاز، وقالوا "هكوتيل كوتلينو"، أى "الحائط حائطنا"، وطالبوا باستعادته، زاعمين أنه الجدار الباقى من هيكل سليمان.وفى اليوم التالي، الذى كان ذكرى المولد النبوى الشريف، توجه أهالى القدس والقرى المحيطة بها على عادتهم لأداء صلاة الجمعة فى المسجد الأقصى، وبعد الصلاة خرج المصلون فى تظاهرة ضمت الآلاف من المسلمين، واتجهوا نحو حائط البراق، وحطموا منضدة لليهود كانت موضوعة على الرصيف، وأحرقوا بعض الأوراق التى تحتوى على نصوص الأدعية اليهودية الموضوعة فى ثقوب الحائط.

وبعد عدة أيام تواترت الأخبار عن نية الصهيونيين شن هجوم على حائط البراق واحتلاله لتثبيت حقهم فى ملكيته، فتدفق مسلمو فلسطين إلى القدس لأداء صلاة الجمعة فى ٢٣ من الشهر نفسه، وهم يحملون العصى والهراوات، وحين خرج المصلون وجدوا تجمعاً صهيونياً يتحداهم، فوقعت صدامات ومواجهات عنيفة بين الطرفين، وفتحت الشرطة البريطانية النار على الجمهور العربي، ودخلت المصفحات البريطانية القدس. وفى الأيام التالية اتسعت المواجهات الدامية فشملت مختلف المدن الفلسطينية، وكانت حصيلة ما عرف بـ "ثورة البراق" مقتل ١٣٣ يهودياً وجرح ٢٣٩ منهم، واستشهاد ١١٦ مسلماً وجرح ٢٣٢ شخصاً، وإلحاق أضرار كبيرة بالقرى والممتلكات.. وفى ١٧ حزيران من العام ١٩٣٠ أعدمت سلطات الانتداب البريطاني، فى سجن عكا، قادة ثورة البراق: عطا الزير، ومحمد جمجوم، وفؤاد حجازي.

حائط البراق .. ملك خالص للمسلمين يضع الصهاينة يدهم عليه بادعاءات ملفقة

حائط البراق هو الجزء الجنوبى من السور الغربى للحرم القدسى ولم يتخذه اليهود مكاناً للعبادة فى أى وقت إلا بعد صدور وعد بلفور العام 1917

حصيلة "ثورة البراق" مقتل 133 يهودياً وجرح 239 منهم، واستشهاد 116 مسلماً وجرح 232 شخصاً، وإلحاق أضرار كبيرة بالقرى والممتلكات

لجنة "أليل لوفغرن" وضعت تقريراً فى العام 1930، قدمته إلى عصبة الامم المتحدة أبدت فيه حق المسلمين الذى لا شبهة فيه بملكية حائط البراق

التسامح الإسلامى هو الذى مكن اليهود من الوقوف أمامه، والبكاء على زواله، وزوال الدولة اليهودية قصيرة الأجل فى العصور الغابرة

وعلى إثر الاضطرابات وثورة البراق، أرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق عرفت باسم "لجنة شو"، نسبة إلى رئيسها. وبين جملة توصياته، أوصى شو بإرسال لجنة دولية للتحقيق فى موضوع حقوق العرب واليهود فى البراق. وفى ١٥ أيار من العام ١٩٣٠، وافق مجلس عصبة الأمم على الأشخاص الذين تم ترشيحهم من قبل بريطانيا لعضوية اللجنة.

وصلت لجنة التحقيق الدولية إلى القدس فى ١٩ حزيران من العام نفسه، وأقامت فيها شهراً بكامله، عقدت خلاله ٢٣ جلسة، اتبعت خلالها الأصول القضائية المعهودة فى المحاكم البريطانية، واستمعت إلى ممثلى الطرفين العربى واليهودي، وإلى ٥٢ شاهداً (٣٠ استدعاهم العرب و٢٢ استدعاهم اليهود)، وأبرز الطرفان أثناء الجلسات ٦١ وثيقة (٢٦ وثيقة قدمها العرب و٣٥ وثيقة قدمها اليهود)، وكان دفاع الفريق العربى عن حقه فى القدس يثير الإعجاب، واشترك فى هذا الدفاع نخبة من رجالات البلاد من ذوى الاطلاع الواسع على الوضع الراهن للأماكن المقدسة.

ويشكل حائط البراق الجزء الجنوبى من السور الغربى للحرم القدسى الشريف، بطول حوالى (٤٧ متراً، وارتفاع حوالى ١٧ متراً)، ولم يتخذه اليهود مكاناً للعبادة فى أى وقت من الأوقات إلا بعد صدور وعد بلفور العام ١٩١٧.. ولم يكن هذا الحائط جزءاً من الهيكل اليهودي، ولكن التسامح الإسلامى هو الذى مكن اليهود من الوقوف أمامه، والبكاء على زواله، وزوال الدولة اليهودية قصيرة الأجل فى العصور الغابرة.

وفى عهد الانتداب البريطانى على فلسطين زادت زيارات اليهود لهذا الحائط، حتى شعر المسلمون بخطرهم، ووقعت ثورة البراق بتاريخ ١٩٢٩/٨/٢٣ م، والتى استشهد فيها العشرات من المسلمين، وقتل فيها عدد كبير من اليهود، واتسعت حتى شاركت فيها عدد من المدن الفلسطينية، وتمخضت الأحداث عن تشكيل لجنة دولية لتحديد حقوق المسلمين واليهود فى حائط البراق، وكانت اللجنة برئاسة وزير خارجية السويد الاسبق "أليل لوفغرن"، وعضوية نائب رئيس محكمة العدل الدولية الأسبق السويسرى " تشارلز بارد"، وبعد تحقيق قامت به هذه اللجنة واستماعها إلى وجهتى النظر العربية الإسلامية واليهودية، وضعت تقريراً فى العام ١٩٣٠، قدمته إلى عصبة الامم المتحدة أبدت فيه حق المسلمين الذى لا شبهة فيه بملكية حائط البراق.

ومن اليهود الذين استمعت إليهم اللجنة الدولية الدكتور مردخاى الياش وديفيد يلين والحاخام موشى بلاو، وقدم الدكتور كورش ادلر وبعض كبار رجال اليهود فى القدس مذكرة خطية تشرح وجهة النظر اليهودية بشأن حائط البراق. ومن العرب الذين استمعت إليهم اللجنة عونى عبد الهادي، وأحمد زكى باشا، ومحمد على باشا، والشيخ إسماعيل الحافظ. وأبرزوا للجنة وثائق ومستندات عدة، وقد كانت حجج اليهود أن حائط البراق هو من بقايا الهيكل، وأن "الكوتل معرافي" لا يمكن هدمه على الإطلاق، لأن الحضور الإلهى "شكينة" مستمر على الدوام، ولذلك فإن اليهود يرغبون فى الصلاة أمام هذا الحائط، وينوحون على خراب الهيكل الذى كان فى (٩ آب عبري). وقال اليهود إن استعمال أدوات كالمقاعد، وستار لفصل الرجال عن النساء، وخزانة تتضمن أسفار التوراة، وقناديل للطقوس، وطشت للغسيل، كان شائعاً عند الحائط، ومسموحاً به من الحكومة العثمانية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بمدة طويلة، ووفقاً لهذه الحجة يجب اعتبار هذه الحالة بأنها هى الحالة الراهنة. وقالوا إن المادة (١٥) من صك الانتداب البريطانى تقضى على الدولة المنتدبة بأن تضمن لليهود حرية العبادة عند الحائط حسب الطريقة المفروضة فى شعائرهم وطقوسهم الدينية من دون أدنى تدخل من العرب، ويجب أن يمنع العرب من إزعاج اليهود أثناء صلواتهم، سواء بالمرور عند الحائط، أو بصوت الأذان، أو إقامة الذكر قرب الحائط. وعلى رغم كل هذه المطالب لم يدّع اليهود ملكية الحائط، ولكنه من صنف الاملاك المقدسة التى لا يمكن الاتجار بها .كما أن حائط البراق جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى المبارك والحرم القدسى الشريف، وليس فيه حجر واحد يعود إلى عهد الملك سليمان، والممر الكائن عند الحائط ليس طريقاً عاماً، بل أنشئ فقط لمرور سكان محلة المغاربة وغيرهم من المسلمين فى ذهابهم إلى مسجد البراق، ومن ثم إلى الحرم الشريف، وقد كان السماح لليهود بالسلوك إلى الحائط من قبيل التسامح فى المرسوم الصادر عن إبراهيم باشا فى العام ١٨٤٠، وليس لأداء الصلوات.

وإن تطبيق الحالة الراهنة فى الأماكن المقدسة ليست له علاقة بحائط البراق، لأن الحق فى ملكيته او الانتفاع به عائد للمسلمين، وأما مدى التسامح فهو الذى يستطيع أصحاب البراق إبداءه، ولا يمكن أن يتجاوز الحدود التى يعينونها. وقد كان الكولونيل "سايمس" قد اعترف بهذا الأمر عندما مثّل الدولة المنتدبة أمام لجنة الانتداب الدائمة فى دورتها التاسعة لسنة ١٩٢٦ م، حيث قال:

"جرت عادة اليهود بالتوجه إلى الحائط الغربى للبكاء على عظمة إسرائيل، على أن الموقع الذى يحصل فى البكاء عائد للوقف الإسلامي.. وإذا كان يسمح لليهود بالتوجه إلى هذا المكان، فلا يترتب على ذلك أن الموقع هو ملكهم". وأشار المسلمون إلى أن الدولة المنتدبة فى كتابها الأبيض الذى أصدرته فى شهر تشرين الثانى (نوفمبر) من العام ١٩٢٨ اعترفت صراحة بأن الحائط الغربى والمنطقة المجاورة له ملك المسلمين خاصة.

وهكذا، فإن اليهود حاولوا العام ١٩٢٩ أن يؤيدوا مزاعمهم بالقوة، حتى ينفذوا نواياهم الحقيقية ووضع يدهم على جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف، ورغم أنهم قالوا أمام اللجنة الدولية إنهم لا يدعون بحق الملكية فى الحائط، فإنهم كانوا يرمون فى الحقيقة إلى تحقيق هذه الغاية، ويؤكد ذلك ما جاء فى دائرة المعارف البريطانية، والذى يقول: "إن من أكبر النتائج التى تلفت النظر والعناية التى تولدت من العداء نحو الساميين ظهور حركة اليقظة القومية فى اليهود بمظهر سياسي، وهى الحركة التى عرفت بالصهيونية.. إن اليهود يتطلعون إلى افتداء اسرائيل، واجتماع الشعب اليهودى فى فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعاة بناء الهيكل، وإقامة العرف الداودى فى القدس ثانية، وعليه أمير من نسل داود".

وقد اختتمت اللجنة الدولية تقريرها بالنتيجة التالية: "للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربى ولهم الحق العينى فيه، لكونه يؤلف جزءاً لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف، التى هى من أملاك الوقف الإسلامي. وللمسلمين أيضاً تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط، وأمام المحلة المعروفة بحارة المغاربة، لكونه موقوفاً حسب أحكام الشرع الإسلامي".

وثائق ملكيّة الحائط:

حائط البراق أو الحائط الغربي، هو الحائط الذى يحد الحرم القدسى من الجهة الغربية، ويشكل الجزء الجنوبى من السور الغربى للحرم المحيط بالمسجد الأقصى، حيث يمتد بين باب المغاربة جنوبا، والمدرسة التنكزية شمالا بطول حوالى (٤٧ مترا، وارتفاع حوالى ١٧ مترا، وعرض ٣،٣٠ متر تقريبا). زعم اليهود أن هذا الجزء من الحائط الغربى للحرم القدسى من بقايا هيكلهم المزعوم، وأحاطوا هذا المكان بهالة من القدسية قائمة على مجموعة من الأساطير والافتراءات التاريخية فَنّدها الباحث جميعا فى مقال "اختلاق حائط المبكى".

●●●

دأب المغاربة على زيارة القدس الشريف بعد فراغهم من أداء مناسك الحج، حتى إن أحد الرحالة المغاربة، وهو محمد بن عبد الوهاب المكناسى (١٢٠٠هـ = ١٧٥٠م)، وسم رحلته بعنوان: "إحراز المعلى والرقيب، فى حج بيت االله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل وقبر الحبيب". اعتاد المغاربة الجوار بموضع قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم، وفى أقرب نقطة للمسجد الأقصى، وهو الموضع الذى أوقفه عليهم الملك الأفضل سنة (٥٨٩هـ = ١١٩٣م). ليسكنوا مساكنها وينتفعوا بمنافعها. وأنشأ لهم فى الحارة ذاتها مدرسة عرفت بالأفضلية...

فى هذا الصدد، يقول عبد الهادى التازي، فى دراسته "أوقاف المغاربة فى القدس": "ويظهر من نص الوقفية أن صحيفتها الأصلية قد ضاعت، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضى الشرعى بكتاب "متصل الثبوت بحكم الشريعة" وقد تم ذلك مرتين الأولى فى سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٨م)، بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل، والثانية فى سنة (١٠٠٤ هـ = ١٥٩٦ م)، بعد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني، ويوجد نص الوثيقة فى السجل رقم ٧٧ ص ٥٨٨ فى المحكمة الشرعية.

●●●

وقد أورد نص وثيقة الوقف، المؤرخة فى سنة (٦٦٦ هـ = ١٢٦٨م)، مصطفى الحياري، فى كتابه "القدس فى زمن الفاطميين والفرنجة"، تحت عنوان: "القدس الشريف ـ وقفية حى المغاربة (The Islamic Pious Foundations in Jerusalem. London، Islamic cultural centre. ١٩٧٨) كما نشرها عبد اللطيف الطيباوي"، جاء فى الوثيقة حدود الوقف أو ما عرف بـ "حارة المغاربة"، كما يلي: ... الحد الأول وهو القبلى ينتهى إلى سور مدينة القدس الشريف وإلى الطريق المسلوكة إلى عين سلوان، والحد الثانى وهو الشرقى ينتهى إلى حائط الحرم الشريف، والحد الثالث وهو الشمالى ينتهى إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات، والحد الرابع وهو الغربى وينتهى إلى دار الإمام شمس الدين قاضى القدس الشريف، ثم إلى دار عماد الدين بن موسكي، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز.

●●●

يقول زياد المدني، فى كتابه "مدينة القدس وجوارها (١٨٠٠ – ١٨٢٠)": يتكون هؤلاء المغاربة فى القدس من المراكشيين والتونسيين والجزائريين، وقد أقام هؤلاء فى جبل الطور فى حى خاص سمى حى المغاربة، وكان يتولى زعامة المغاربة شيخ يعينه الوالي، كما كانت لهم زاوية تعرف باسمهم وشيخ يسمى شيخ المغاربة.

●●●

فى سنة (٧٢٠هـ = ١٣٢٠م) أنشأ حفيد أبى مدين شعيب بن أبى عبد الله محمد بن أبى مدين، وقفة المشهور "وقف أبى مدين". وقد أورد نص وثيقة "وقف أبى مدين"، عبد الهادى التازي، فى دراسته "أوقاف المغاربة فى القدس": بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فهذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح مرعي، اكتتبه الفقير إلى الله سبحانه الراجى عفوه وغفرانه، الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدوة أبو مدين شعيب بن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد أبى عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبى مدين شعيب المغربى العثمانى المالكى نفع الله ببركته وفسح بمدته وأشهد على نفسه الزكية وهو فى صحته أنه وقف وحبس وسبل وأبد وتصدق وحرم وحرر وأكد جمع المكانين الآتى ذكرهما ووصفهما وتحديدهما فيه الجاريين فى يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته إلى حين هذا الوقف، يشهد بذلك من يعينه فى رسم شهادته بآخر هذا الكتاب المبارك، وأحد المكانين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف".

"وأما المكان الثانى الموقوف فيه فإنه بالقدس الشريف بخط يعرف بقنطرة أم البنات باب السلسلة المشتمل على إيوان وبيتين وساحة ومرفق خاص وسفلى ذلك مخزن وقبو.... وقفية هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين إليها من السادات المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم وإناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ينتفعون بذلك السكن والإيجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة على الضيع المذكورة ويقدم فى ذلك الواردون على المقيمين والأحوج فالأحوج والأدين فالأدين، فإذا انقرض المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيم بالقدس الشريف سواء كان ذكرا أو أنثى فيرجع وقفا على من يوجد من المغاربة المقيمين فى مكة المشرفة زادها الله شرفا وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة، فإذا لم يوجد أحد بالحرمين الشريفين وشرط الواقف النظر والتولية على هذا الوقف لنفسه مدة حياته ثم من بعده لم يوجد رشيد من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف ويشهد له بالرشد والتقوى.... وذلك فى اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة".

●●●

تعود ملكية الحائط الغربى للمسلمين وحدهم، ولهم وحدهم الحق العينى فيه لكونه يؤلف جزءا لا يتجزء من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف؛ وللمسلمين أيضا تعود ملكية الرصيف الكائن أمام الحائط

ومن المهم أن نعرف أن الحد الشرقى لـ "وقف أبى مدين" يعرف بحائط البراق. وكذلك الرصيف الكائن أمام هذا الحائط والذى يقف عليه اليهود عندما يزورون الحائط بقصد البكاء، فإنه من "وقف أبى مدين".

●●●

فقد ذكر مصطفى مراد الدباغ، فى كتابه "بلادنا فلسطين، الجزء العاشر ـ القسم الثاني": "ما جاء فى المحفوظات الملكية المصرية، فى ذكرها لحوادث محرم ١٢٥٦ هـ = آذار/ مارس ١٨٤٠م، والمراسلات بين الحاج محمد شيخ المغاربة بالقدس، وإسماعيل عاصم بك حكمدار حلب، بخصوص طلب أحد اليهود تبليط زقاق البراق الكائن بحارتهم بقرب وقف سيدى أبى مدين الغوث، ورفض مجلس شورى القدس السماح لليهود بتبليط زقاق البراق، شارحا أسباب ذلك، ورد متسلم القدس الشريف، السيد أحمد دُزدار، والخلاصة هي: "لا يخفى على الجميع أن زقاق البراق الشريف المذكور غير نافذ بل فقط يتوصل به إلى دور سيدنا أبى مدين الغوث وهو فى نفس حارة المغاربة التى بها زاوية سيدنا أبى مدين، وملاصق للحرم الشريف ومحل البراق المنيف وليس لليهود ولا لأحد فيه حق بل هو من حقوق سيدى أبى مدين الغوث وداخل فى حدود وقفيته ....فهذا المحل ليس هو كنيسة لهم ولا مدارج لليهود... تبليط المحل المذكور يعود منه ضرر على جهة الوقف.. ".

لقد كان لوثيقة "وقف أبى مدين" الفضل في حماية حائط البراق من خلال إثبات حق تملك المسلمين له إثر ثورة البراق (١٩٢٩)، وتمخضت الأحداث عن تشكيل لجنة دولية لتحديد حقوق العرب واليهود فى "حائط البراق"، أكدت أنه للمسلمين وحدهم تعود ملكية الحائط الغربي، لكونه يؤلف جزءا لا يتجزأ من ساحة الحرم الشريف التى هى من أملاك الوقف.

ولكن سلطات الاحتلال، وبعد حرب ١٩٦٧، واستيلائها على القدس القديمة، هدمت حارة المغاربة، واستولت على حائط البراق مباشرة، وأنشأت ساحة كبيرة مبلطة أمام الحائط لتستوعب اليهود الذين يحضرون للصلاة أمام الحائط، وفى هذه الساحة اليوم يوجد الباب الأول للنفق الشهير الذى حفرته سلطات الاحتلال موازيا للسور الغربى للحرم الشريف بطول حوالى ٤٨٨ مترا، وأوصلوه بقناة رومانية قديمة طولها ٨٠ مترا، وفتحوا بابا ثانيا فى نهاية النفق عند مدرسة الروضة الإسلامية العام ١٩٩٦، ما أدى إلى انتفاضة النفق العام ١٩٩٦م.

حتى بين اليهود أنفسهم، تظهر أحياناً أصوات تخلع القدسية اليهودية عن "حائط المبكى"، وتعتبر أن لا علاقة للدّين اليهودى بهذا الموقع، نظراً لعدم وجود أيّ صلة بينه وبين شريعة النبى موسى، وفى أيامنا هذه، لجأ بعض اليهود المستنيرين إلى التذكير بانتفاء تلك القدسية. وعلى سبيل المثال، نشرت تصريحات للحاخام يهورام مزور، أمين سر مجلس اليهودية التقدمية، فى العدد الأول من مجلة "بتلم" اليهودية الصادرة عن هذا المجلس، صيف ١٩٩٩، تحت عنوان "هل من المهم تأدية الصلاة على وجه التحديد عند حائط المبكى؟!". ومما ذكره الحاخام مزور فى هذا المقال أنه لا توجد قدسية لحائط المبكى فى الديانة اليهودية، وأنه يرفض إقامة حفلات البلوغ أو أى شعائر أخرى هناك، وقال الحاخام مزور: "إننا نلتقى طوال ساعات اليوم أشخاصا فى هذا المكان يؤدون الصلاة فى موقع هم الذين قدسوه". وأضاف: "إن ذلك يشبه عبادة الأوثان، وإن على مجلس الحاخامات التقدميين فى إسرائيل اختيار موقع آخر لصلاة اليهود".

وكثيرة هى الدراسات التى نشرها متخصصون يهود، وتؤكد أن الرواية التوراتية تفتقر إلى أى دليل أثري، ومنها دراسات البروفسور اليهودى إسرائيل فنكلشتاين، رئيس قسم الآثار فى جامعة تل أبيب، وزميله دافيد أو سسيشكين، اللذين أكدا أن بيت المقدس لم يشيد فى عهد سليمان وإنما قبله بمئة عام، وأن هذا العهد غامض جداً، وليس هناك أى سند لما ورد فى "العهد القديم" بشأنه.

المتوكل طه

تقرير اللجنة الدولية المعينة من قبل حكومة الانتداب البريطانية بموافقة مجلس عصبة الأمم

لتحديد حقوق ومطالب المسلمين واليهود بشأن حائط البراق/ الحائط الغربي في القدس

(مقتطفات)

1 كانون الأول/ ديسمبر 1930

إننا نوجز فيما يلي الاستنتاجات التي توصلنا إليها، بالاستناد إلى الاستنتاجات والبيانات التي أدلينا إليها فيما تقدم :

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الاثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

هفت إليّ على غمامهْ / وطوت جناحيها وقرّت في يديّهْ / ورنت إليهْ /
وتنفست دفئًا وعطرًا / وشممت فيها منك شيئًا هاجني وجدًا وذكرى /
فمضيت ألثم ريشها / وجعلت صدري عُشّها / وشعرت أنك عدت، أنك في
الطريقْ / واجتاحني فرح الغريقْ / حضنتْه شطآن النجاهْ .

أغرب التفسيرات التآمرية تدعى أن عبد الناصر أراد إيقاع الهزيمة بجيشه لكى يتخلص من غريمه عامر!!

الفريق صدقي محمود، قائد القوات الجوية

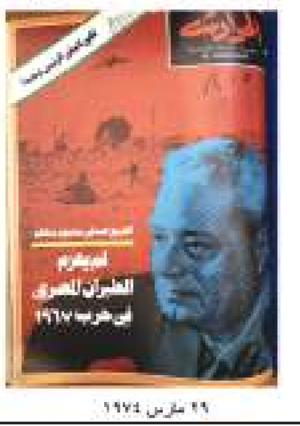

الفريق أول عبد المحسن مرتجي، قائد الجبهة

الفريق أنور القاضي، رئيس هيئة العمليات

الكتابات الأكاديمية العربية تفتقر لدراسة علمية تتناول أكبر إخفاق عسكرى عرفه العرب فى تاريخهم الحديث

إعادة قراءة مصادر حرب يونيو 1967 (1)

بعد 60 عاما على الهزيمة .. معرفتنا بتفاصيل ماجرى ما زالت قاصرة

فى مثل هذه الأيام من كل عام تكثر الكتابات والتعليقات التى تتناول تفاصيل حرب يونيو ١٩٦٧ بالنقد والتحليل، فهناك من ينتهز الفرصة لكتابة تعليق مستفز على فيسبوك أو إكس (تويتر) قاصدا لفت الأنظار أو زيادة الترافيك، وهناك من يتساءل عن جدوى تناول هذه اللحظة المظلمة من تاريخنا وغض النظر عن حرب الاستنزاف أو العبور معللا هذا التغافل بأنه رغبة فى نكأ جراح الماضي، أو بث شعور اليأس والعدمية، أو الشماتة فى جمال عبد الناصر.

وهناك من يتساءل لماذا نخوض فى تفاصيل هزيمتنا فى ٦٧ وكأن تاريخنا توقف عندها. ألم تهزم دول قبلنا وتمكنت فيما بعد من استعادة توازنها وتخطى هزيمتها؟ ألم تهزم كل من ألمانيا واليابان فى الحرب العالمية الثانية ثم تمكنتا من تخطى هزيمتهما لتصبحا عملاقين اقتصاديين فيما بعد؟ السطور التالية تحاول الاشتباك مع هزيمة ٦٧ ليس بغرض نكأ جراحها، ولا شماتة فى عبد الناصر، ولا تقليلا لأهمية حرب الاستنزاف أو العبور. وليس المقصود أيضا الوقوف عند هذه الهزيمة وكأنها نهاية التاريخ، بل إدراكا لحقيقة أن هذا الحدث التاريخى حدث مركزى ومحورى فى تاريخنا الحديث، وأن معرفتنا بتفاصيله ما زالت قاصرة ولا تتناسب مع أهميته.

طه المجدوب، رئيس أركان اللواء الثالث في الفرقة الرابعة المدرعة

اللواء صدقي الغول، قائد الفرقة الرابعة المدرعة

صادق جلال العظم، النقد الذاتي بعد الهزيمة (١٩٦٨)

أرشيف القوات المسلحة ما زال مغلقا أمام الباحثين ونفتقر لخطط العمليات العسكرية، وتقارير ورسائل لا غنى عنها لأى مؤرخ عسكري

عبد المجسن مرتجى يتشكك فى قدرات ومؤهلات الفريق فوزى ويصفه بأنه كان يفتقر للـ"صفات والسجايا والمؤهلات [الضرورية] لهذا المنصب"

لقد كثرت الكتب والمقالات عن حرب ٦٧، وسال كثير من الحبر فى محاولة دراستها والوقوف على أسبابها ونتائجها. ولكن بعد قرابة الستين عاما على هذه الهزيمة ما زلنا نفتقد لتفسيرات عميقة لها، ومازالت الأجيال الصاعدة تحديدا تشعر بالحيرة بل بالاغتراب نتيجة سطحية التفسيرات وتضاربها.

تفسيرات الهزيمة:

فلا يحتاج المرء عناء فكر حتى يدرك أن التفسيرات الثقافوية للهزيمة تفسيرات سطحية وقاصرة إذ أنها ألقت اللوم، عن قصد أو دون قصد، على الشعب وتركت القادة السياسيين والعسكريين وشأنهم. فصادق جلال العظم فى كتابه ذائع الصيت، النقد الذاتى بعد الهزيمة، انكب على تحليل الأسباب الثقافية والفكرية والنفسية وراء الهزيمة، وأنحى باللائمة على سمة من سمات" الشخصية العربية" أى "الفهلوة"، والمقصود هنا التكيف السريع والسطحى مع المحيط، والسعى لتحقيق الأهداف بأقصر الطرق، والتسارع لإلقاء المسؤولية على الآخرين، وكلها سمات رأى العظم أن الشعوب العربية تتصف بها وأنها كانت السبب الرئيس فى الهزيمة. إلا أنه وهو يبحث عن الأسباب العميقة للهزيمة فاته أن يدرس تفاصيل المعارك العسكرية أو يحلل قرارات القادة العسكريين، وهو بذلك أعفى الساسة والعسكر من المسؤولية.

ولم يزد عن العظم سطحية فى تفسيره لأسباب الهزيمة إلا الإسلاميين الذين أنحوا باللائمة على اعتماد عبد الناصر على الروس "الملحدين"، والزج بالإسلاميين فى السجون، وابتعاد الناس عن الدين.

وإذا نحينا التفسيرات الثقافوية جانبا فسنصطدم بكثرة تفسيرات النوادر والعجائب التى تسترعى انتباه القارئ وتلقى فى وجهه المعلومة تلو الأخرى دون أن تعطى تفسيرا عميقا لهذه المعلومات. ومن شأن هذه التفسيرات أن تزيد القارئ حيرة دون أن تشفى غليله فى معرفة حقيقة ما جرى.

من أمثلة تلك التفسيرات الرواية التى تقول إن الهجوم المتزامن على مطاراتنا صباح الخامس من يونيو كان قد التقطه الفريق عبد المنعم رياض قائد الجبهة الأردنية من قاعدة عجلون الجوية فى الأردن، وأنه أرسل رسالة مشفرة للقاهرة تقول "عنب عنب عنب"، وهى الرسالة المتفق عليها سلفا. تلقت القاهرة الإشارة، لكن بسبب قيام ضابط الاتصالات، وكان برتبة عريف، بتغيير مفتاح الشيفرة قبل ذلك بدقائق، لم يتمكن الضابط المناوب من فك الشيفرة وفهم الإشارة، وعندما تمكن زميل له أخيرا وبعد مرور ٤٥ دقيقة من فك الشفرة وفهم الإشارة وما فيها من اسم كودى يدلل على طائرات العدو المغيرة، قابله الضابط المناوب بالتهكم قائلا: "عنب إيه وبصل إيه؟! دول فوق دماغنا."

وهناك الرواية التى تذهب إلى أن قائد سلاح الطيران، الفريق صدقى محمود، قرر إجراء حفلة فنية يوم ١ يونيو فى أكبر قاعدة جوية، قاعدة أنشاص، ولكن لسبب ما تقرر إرجاء الحفل لليلة ٥/٤ يونيو. وبدأ الحفل فى التاسعة مساء. وبدلا من انتهاء الحفل فى الثالثة فجرا امتد للسادسة صباحا، وبالتالى عندما أغارت الطائرات الإسرائيلية على القاعدة لم يكن الطيارون قد نالوا كفايتهم من النوم.

وهناك رواية ثالثة تقول إن تعليمات صريحة صدرت صباح يوم الخامس من يونيو لقوات الدفاع الجوى بعدم إطلاق النار على أى طائرة فى الجو لحماية طائرة المشير عبد الحكيم عامر، الذى قرر يومها أن يلتقى بقادته الميدانيين فى مطار بيت تمادة فى سيناء، وأن الطائرات الإسرائيلية دخلت الأجواء المصرية وهى تعرف أن وسائل الدفاع الجوى المصرية نيرانها مقيدة.

هناك نوع آخر من التفسيرات أسميه التفسيرات التآمرية التى أراها، هى الأخرى، سطحية وغير قادرة على تبصيرنا بحقيقة ما جرى. هذه التفسيرات ترجع الهزيمة لمحاولات بعض الأنظمة والقوى العربية توريط عبد الناصر فى حرب هو غير مستعد لها، وذلك بغرض هزيمته والتخلص من زعامته للعالم العربي. فهناك من يرى أن الحملات الإعلامية التى تبنتها كل من الأردن والسعودية طوال عامى ١٩٦٦ و١٩٦٧ والتى كانت تتهم عبد الناصر بالاختباء وراء البوليس الدولى فى سيناء وغزة وراضيا بالملاحة الإسرائيلية الحرة عبر مضيق تيران – هذه الحملات كانت تبغى النيل من زعامة عبد الناصر ودفعه لإغلاق المضيق وبذلك جرجرته للدخول فى حرب سيخسرها حتما.

وأغرب التفسيرات التآمرية تلك التى تذهب إلى أن عبد الناصر هو من أراد إيقاع الهزيمة بجيشه لكى يتخلص من غريمه المشير عبد الحكيم عامر، فقامر بشن حرب كان متأكدا أنه سيخسرها.

أما أخطر التفسيرات فهى التفسيرات الهيكلية وأقصد بها تلك التفسيرات العديدة التى قدمها محمد حسنين هيكل فى كتبه ولقاءاته التليفزيونية العديدة لتفسير هزيمة بهذه الفداحة. فهيكل رأى عبد الناصر أسير تجربته فى حرب السويس عام ١٩٥٦ عندما أدار المعركة سياسيا ودبلوماسيا لا عسكريا، غير مدرك أن "أن الأمور فى هذه المرة كانت تندفع فى اتجاه مختلف." لكن هيكل يقدم تفسيرا آخر أهم يلوم به عبد الحكيم عامر ويعتبره المسؤول الرئيسى لما حل بالجيش، فهيكل يقول إن عامر انهار انهيارا تاما يوم ٥ يونيو ولم يستطع تمالك أعصابه ولا الأخذ بزمام الأمور بعد ضربة الطيران فى صباح هذا اليوم. ويعرض هيكل لتصرفات المشير فى الأيام والأسابيع التى سبقت المعركة ويستنتج من هذا العرض أن المشير كان يعانى من حالة نفسية تسمى بحالة "المزاج الدوري" manic depressive. (الانفجار، ص. ٨٢٠). ثم يزيد بُعدًا خاصًا لأزمة المشير وهى أزمة زواجه عرفيا من الفنانة برلنتى عبد الحميد، وإخفائه أمر هذا الزواج عن عبد الناصر. ويفسر هيكل تصرفات المشير غير المتعقلة فى الأيام السابقة على المعركة، وهى التصرفات التى أدت بالفعل إلى ازدياد فرص الصدام، على أنه كان محاولة منه لإثبات نفسه ورجولته أمام زوجته الجديدة. (هيكل، الانفجار، ص ٣٩٤ وما بعدها).

وعندما يبتعد هيكل عن صغائر الأمور ليقدم تفسيرا شاملا للنكسة (وهو صاحب هذه التسمية المضللة) نراه يشيرلل"حكومة الخفية" فى الولايات المتحدة، أى ما اعتبره ثلاثى رجال "المخابرات والسلاح والبترول" الذى يحكم العالم، وللتواطؤ الإسرائيلي-الأمريكى الذى نجح فى استدراج عبد الناصر والإيقاع به، فى خطة أسماها هيكل خطة "اصطياد الديك الرومي"، أى الإيقاع بعبد الناصر والقضاء عليه بسبب مواقفه التقدمية المناهضة للاستعمار والمناوئة للهيمنة الغربية على المنطقة.

ما أراه غائبا عن هذه التفسيرات المتنوعة هو الاهتمام بالجانب العسكري، فعوضا عن التطرق بشكل دقيق للتفاصيل العسكرية، تميل أغلب التفسيرات للاكتفاء بالعموميات على المستوى السياسى أو الأيديولوجى أو النفسى أو الثقافي. فحرب ٦٧، شأنها شأن أى حرب، لها بالضرورة أبعاد اقتصادية وسياسية وسيكولوجية وثقافية، سواء فى أسبابها أو نتائجها، إلا أنها فى المقام الأول عمل عسكرى تصطدم فيه الجيوش والجنود والأسلحة، ولا يمكن فهم مجرياتها إلا قبل دراسة هذه التفاصيل العسكرية سواء على المستوى التكتيكى أو الإستراتيجي.

وليس أدل على هذا المنحى لتناول تاريخ الحرب بالتغاضى عن جانبها العسكرى من كتاب محمد حسنين هيكل الضخم، الانفجار، الذى يقول فى مقدمته: " أننى لم أترك نفسى كثيرا لتفاصيل العمليات العسكرية... فأنا واحد من الذين يعتقدون أن مصائر المعارك تتقرر قبل أن تنطلق رصاصة واحدة فى ميادين القتال، وبالتالى فإن الصراع السياسى الشامل وملابساته هو جوهر القصة فى أى حرب فصل وليس جوهرها هو تصادم الدبابات وصراخ المدافع وعويل الطائرات." (هيكل، الانفجار، ص ٢٤)

أنا اتفق مع هيكل فى أن "مصائر المعارك تتقرر قبل أن تنطلق رصاصة واحدة فى ميدان القتال"، ولكن أشكال المعارك وأنواع الهزائم لا يرسمها ثالوث المال والنفط والاستخبارات. فإذا صح أن أمريكا تواطأت مع إسرائيل فى محاولة التخلص من عبد الناصر، وإذا صح أن إسرائيل بدأت فى الاستعداد لضرب المطارات المصرية ليس بعد إغلاق مضيق تيران، ولكن بعد انسحابها من سيناء عام ٥٧، وإذا صح أن موازين القوى العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية فى ٦٧ كانت تحتم هزيمتنا، فليس معنى هذا أن تأتى الهزيمة بهذه السرعة وبهذا العمق وبهذه الفداحة.

هل كان تحطيم السلاح الجوى يوم ٥ يونيو معناه حتمية هزيمة الجيش البرى فى سيناء؟ هل انهار الجيش يوم ٥ يونيو بعد أن فقد غطاءه الجوي، أم بعد قرار الانسحاب مساء يوم ٦؟ هل كان باستطاعتنا الانسحاب لخط الدفاع الثانى جنوب العريش؟ هل كان بإمكاننا الانسحاب لخط المضايق؟ أم كان الانسحاب للضفة الغربية لقناة السويس محتوما قبل أن تنطلق رصاصة واحدة فى ميدان القتال حسب تحليل هيكل؟

ولنا أن نتخيل أحوال البلد، بل أحوال العرب، لو جاءت هزيمتنا بشكل مختلف. لنا أن نتخيل كيف كانت مهمة تحرير الأرض ستختلف لو كنا نتكلم عن تحرير ثلث سيناء بدلا من قتال العدو فى كل ربوع شبه الجزيرة بعد تكلف عناء عبور قناة السويس.

وبالتالى فإنى اتفق مع هيكل فى أن جوهر القصة فى أى حرب هو الصراع السياسى الشامل وملابساته وليس جوهرها هو تصادم الدبابات وصراخ المدافع وعويل الطائرات. ولكن إذا تركنا جوهر القصة وتناولنا تفاصيلها، عندها يجب الاهتمام بصراخ المدافع وصراع الدبابات وعويل الطائرات، فلا يمكن فهم تفاصيل أى حرب دون الاقتراب من ساحات القتال.

على أن هناك سببا آخر للاختلاف مع هيكل. فالصراع السياسى مهم بالطبع لفهم جوهر القصة، ولكن عن أى صراع سياسى نتحدث؟ الصراع السياسى بين القوى العظمى، والقوى الإقليمية، ورجال المال والنفط والاستخبارات؟ أم الصراع السياسى المحتدم بين عبد الناصر وقائد جيشه، عبد الحكيم عامر، المستمر منذ عام ١٩٦٢ إن لم يكن منذ عام ١٩٥٦؟

مذكرات القادة:

ولكن قبل التطرق لتلك النقطة الجوهرية، أى الصراع السياسى الداخلى فى النظام الناصرى الذى أفضى بعبد الناصر لأن يفقد السيطرة على جيشه قبل المعركة بسنوات عديدة، يجب إنهاء سردية المصادر التى بدأناها.

محمد حسنين هيكل

الفريق صلاح الدين الحديدي، قائد المنطقة المركزية، ورئيس محكمة قادة الطيران (١٩٧٤)

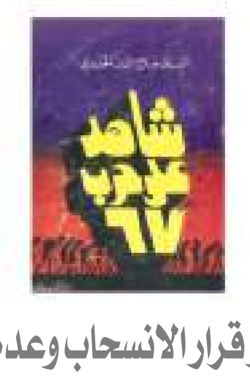

رواية درامية لمحمد فوزى عن كيفية إصدار قرار الانسحاب وعدم إمهال عامر له سوى دقائق معدودة لوضع خطة لانسحاب خمس فرق من سيناء بإجمالى يناهز ثمانين ألف جندى فى ليلة واحدة

الفريق أول محمد أحمد صادق، مدير المخابرات الحربية

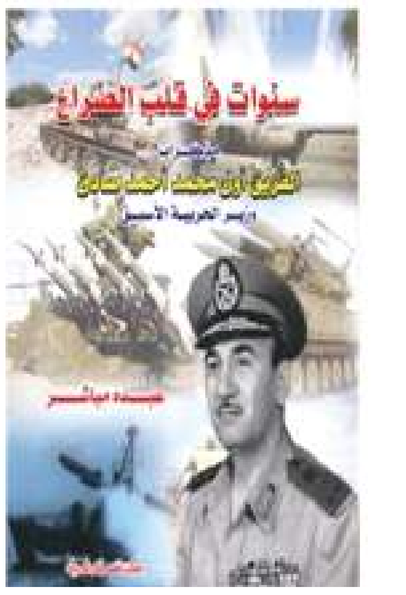

الفريق محمد صادق: فى أعقاب الهزيمة كانت هناك محاولة انقلاب ضد عبد الناصر مرة كل ستة أشهر فى المتوسط

تفسيرات النوادر والعجائب تزيد القارئ حيرة دون أن تشفى غليله فى معرفة حقيقة ما جرى

عبد الحميد الدغيدي، قائد القوات الجوية في جبهة سيناء

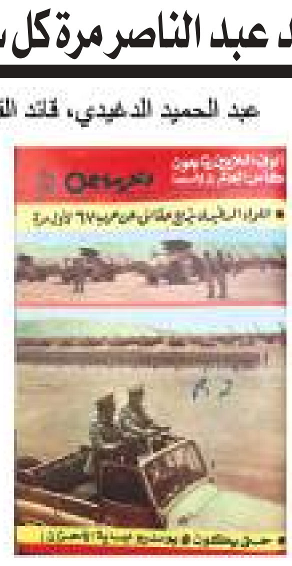

منذ أن حلت الذكرى الخمسون للحرب عام ٢٠١٧، وعلى مدار تسع سنوات كاملة، وأنا أقرأ ما كتب عن هذه الجولة الثالثة من جولات الصراع العربى الإسرائيلى سواء بالعربية أو بالإنجليزية، ولاحظت لاحظ غيرى (ومنهم عزمى بشارة فى دراسة له عن حرب يونيو) افتقار الكتابات الأكاديمية العربية لدراسة علمية تتناول أكبر إخفاق عسكرى عرفه العرب فى تاريخهم الحديث من منظور العلوم العسكرية وأدواتها.

بجانب الميل للتفسيرات التى سقتها سابقا، يعود هذا العزوف عن التطرق للجانب العسكرى إلى غياب الوثائق الرسمية عن خطط الحرب، ومجرياتها والتحقيقات التى تمت فى أعقابها. فأرشيف القوات المسلحة ما زال مغلقا أمام الباحثين بالرغم من مضى قرابة السبعة عقود على هذه الحرب، وبالتالى نحن نفتقر لخطط العمليات العسكرية، وتقارير المخابرات الحربية، والرسائل المتبادلة بين قيادة الجبهة وقائد القوات البرية فى سيناء والقيادة العليا فى القاهرة، وتقارير العمليات العسكرية سواء البرية أو الجوية، وتفاصيل تحركات القوات فى سيناء، وغير ذلك من المصادر الدقيقة التى لا غنى عنها لأى مؤرخ عسكري.

ولكن بالرغم من أننا ما زلنا نعانى من غياب الوثائق الرسمية المتعلقة بالجوانب العسكرية، إلا أن لدينا الآن عدد لا بأس به من مذكرات القادة الذين شاركوا فى هذه الحرب. ومن هذه المذكرات نستطيع أن نتبين ملامح النزاع بين أطراف الصراع الداخلي، ويمكننا أن نحدد بعض الأسئلة التى نرجو أن يتيح الإفراج عن الوثائق المحجوبة الإجابة عليها.

فبعد حرب أكتوبر ٧٣ بدأ قادة حرب يونيو ٦٧ يدلون بتصريحات صحافية فى البداية، ثم نشروا مذكرات مسهبة، قدموا فيها رؤاهم لما حدث، ورووا بها عطش القراء لمعرفة تفاصيل الهزيمة.

كان أولهم اللواء عبد الحميد الدغيدى الذى كان قائد القوات الجوية والدفاع الجوى فى الجبهة أثناء الحرب، والذى حوكم مرتين فى محكمة قادة الطيران عام ١٩٦٨ وبرئ فى المرتين. فى حديث أدلى به لمجلة آخر ساعة فى يونيو ١٩٧٤ يكيل الدغيدى الاتهامات على كل القادة ويحملهم مسؤولية الهزيمة. فعبد الناصر مسؤول لأنه تسرع فى اتخاذ قرار الحرب دون إعطاء وقت كاف للقوات لإعداد نفسها للمعركة؛ والمشير عامر مسؤول لأنه قام بزيارة مطار بير تمادة فى سيناء صباح يوم ٥ وأمر كل القادة الميدانيين أن يجتمعوا لاستقباله فما كان منهم إلا أن أصبحوا فريسة سهلة للطيران الإسرائيلي، الأمر الذى كان له أبلغ الأثر على القوات إذ حُرمت من قياداتها فى وقت حساس؛ والفريق فوزى مسؤول لأنه لم يفتح مركز القيادة العامة فى القاهرة إلا ليوم واحد بعد إعلان حالة التعبئة العامة يوم ١٥ مايو، وبذلك ضاعت فرصة استقبال إشارة عجلون الحاسمة؛ والفريق صلاح محسن، قائد الجيش الميداني، مسؤول لأنه انسحب من مقر قيادته يوم ٦ يونيو قبل انسحاب قواته؛ واللواء محمد صادق، مدير المخابرات العامة، مسؤول لأنه أعطى تقارير خاطئة جزم بها أن طائرات العدو لا يتعدى مداها ٣٠٠ كيلومتر أى تصل بالكاد لشرق القناة، غير مدرك أن سلاح الطيران الإسرائيلى زود الطائرات بخزانات وقود إضافية لزيادة المدى.

أما ثانى القادة (حسب التسلسل الزمني) الذين كتبوا مذكراتهم أو أدلوا بتصاريح صحافية فكان صلاح الدين الحديدي. كان الحديدى قائد المنطقة المركزية (أى القاهرة) فى حرب يونيو، وبالتالى لم يشارك فى القتال فى سيناء، إلا أنه كان رئيس المحكمة التى عُقدت عام ١٩٦٨ لمحاكمة قادة سلاح الطيران، وبالتالى تسنى له معرفة الكثير من التفاصيل العسكرية التى أدلى بها المتهمون والشهود. ومن هنا تنبع أهمية مذكراته التى نشرها عام ١٩٧٤بعنوان شاهد على حرب ٦٧. فى هذا الكتاب يتضح مدى اتساع ثقافة الحديدى وعمق حسه التاريخي. ومن أهم ما خلص له فى كتابه هذا هو إلقاء اللوم على المخابرات الحربية بسبب سوء تقديراتها وعلى قرار الانسحاب المشؤوم الذى أصدره المشير عامر يوم ٦ يونيو.

وأما ثالث القادة فهو الفريق صدقى محمود، قائد القوات الجوية، الذى أدلى بحديث لمجلة الحوادث فور خروجه من السجن عام ١٩٧٤ وقال فيه إنه فوجئ بقرار الحشد التعبوى يوم ١٥ مايو ١٩٦٧، وإنه اختلف مع عبد الناصر فى قرار تلقى الضربة الأولى أثناء اجتماع يوم ٢ يونيو الشهير (الذى سأتناوله بالتحليل لاحقا)، وإنه قد طالب ببناء دشم للطائرات قبل الحرب لحمايتها من الغارات الإسرائيلية، ولكن طلبه لم يلبّ (الذى سأتناوله أيضا لاحقا).

رابع القادة هو اللواء صدقى الغول، قائد الفرقة المدرعة الرابعة التى كانت تُعتبر الاحتياطى الإستراتيجى للقوات المسلحة والتى زُج بها فى أتون المعركة وصدرت لها أوامر متضاربة أدت لتدميرها كلية. فى حديث أدلى به لمجلة الحوادث فى شهر أبريل ١٩٧٤ بعد خروجه من السجن يعطى الغول تفاصيل عن القرارات العجيبة بالانسحاب لخط المضايق ثم لغرب القناة ثم العودة ثانية لخط المضايق، وكل هذا فى وضح النهار دون غطاء جوى الأمر الذى عرّض الفرقة لهجمات الطيران الإسرائيلى وتدميرها عن بكرة أبيها.

أما خامس القادة فهو الفريق أول عبد المحسن مرتجى الذى كان قائد الجيش الميداني. بعد المعركة طلب عبد الناصر من الفريق مرتجى كتابة تقرير عما حصل أثناء القتال، وبالفعل أتم مرتجى تقريره وأسماه "تقرير أمانة"، ونشره بعد ذلك ككتاب عام ١٩٧٩ بعنوان الفريق مرتجى يروى الحقائق. فى هذه الكتاب يحاول مرتجى أن ينتهج منهجا وسطا بين عبد الناصر وعامر، فلا يلقى باللوم كاملا على أى منهما. ولكنه يقدم تفاصيل هامة عن التخبط فى القيادات، الأمر الذى أدى لبلبلة فى التشكيلات، والتغيير المتلاحق للخطط، بشكل أفرغها عن محتواها، والاعتماد المفرط على جنود الاحتياط وهو ما كانت لها تبعات وخيمة نظرا لعدم تأهلهم للقتال. ولكى يعفى نفسه من مسؤولية الهزيمة يؤكد مرتجى أنه عُين قائدا للجبهة دون أن يكون لديه عدد كاف من ضباط أركان حربه. ومن أهم ما جاء فى هذه المذكرات تشكك كاتبها فى قدرات ومؤهلات رئيس الأركان الفريق أول محمد فوزي، الذى يصفه بأنه كان يفتقر للـ"صفات والسجايا والمؤهلات ﷺالضروريةرَضِيَ اللهُ عَنْهُ لهذا المنصب". (ص ٢٧)

سادس القادة هو الفريق أول محمد فوزي، رئيس أركان القوات المسلحة من ١٩٦٤ حتى ١٩٦٧، والذى رقاه الرئيس عبد الناصر فى أعقاب الهزيمة لكى يحل محل المشير عامر كقائد عام للقوات المسلحة. فوزى كان غريم عامر الرئيسى فى رئاسة الأركان، فنظرا لانضباطه وصرامته كان يصطدم كثيرا مع عامر المعروف بطيبته وشهامته وضحالة خبرته العسكرية. فى عام ١٩٨٣ نشر فوزى مذكراته، حرب الثلاث سنوات، التى تناول فيها تفاصيل حرب الاستنزاف (١٩٦٧-١٩٧٠)، ولكنه تناول فيه أيضا الكثير من تفاصيل حرب يونيو، من أهمها روايته الدرامية عن كيفية إصدار قرار الانسحاب وعدم إمهال عامر له سوى دقائق معدودة لوضع خطة لانسحاب خمس فرق من سيناء بإجمالى يناهز ثمانين ألف جندى فى ليلة واحدة، وروايته التى لا تقل درامية عن إشارة عجلون اللاسلكية صباح يوم ٥ يونيو التى أرسلها الفريق عبد المنعم رياض من الأردن يحذر بها القاهرة من الهجوم الإسرائيلى الوشيك والتى أوجزناها سابقا. كما يوجه فوزى نقدا لاذعا للفريق محمد صادق، رئيس المخابرات الحربية، بسبب تقديراته الكارثية عن أوضاع العدو. أما المشير عامر فينال نصيب الأسد من النقد والذم والهجوم بسبب عدم صلاحيته علميا ونفسيا وتقنيا لقيادة المعركة.

فوزى له كتب أخرى نشرها لاحقا أهمها حرب أكتوبر ١٩٧٣: دراسة ودروس المنشورة طبعته الأولى عام ١٩٨٨، وأحاديث أجراها مع الصحفى عبد الله إمام ونُشرت ككتاب بعنوان الفريق فوزي: النكسة، الاستنزاف، السجن المنشور بعد وفاة الفريق فوزى بعام واحد، أى فى عام ٢٠٠١. كما أدلى فوزى فى مايو ١٩٩٦ بحديث لهدى عبد الناصر عن حربى يونيو والاستنزاف، ورُفع هذا الحديث فى يوليو ٢٠٢٥ على قناة "ناصر تى في"، وسأتناول هذا التسجيل الهام لاحقا.

سابع القادة هو اللواء طه المجدوب، رئيس أركان اللواء الثالث فى الفرقة الرابعة المدرعة، الذى نشر مذكراته عام ١٩٨٨ بعنوان هزيمة يونيو: حقائق وأسرار. تنبع أهمية هذه المذكرات من التفاصيل التى يوردها المجدوب عنما حل بالفرقة الرابعة. وفى المجمل، يثنى المجدوب فى هذا الكتاب على كلام الفريق صدقى الغول ويلقى باللوم على القرارات المتضاربة الصادرة لفرقته من القيادة العامة فى القاهرة.

ثامن القادة هو الفريق أنور القاضى الذى كان قائد القوات المصرية فى اليمن من أكتوبر ٦٢ إلى نوفمبر ٦٣ والذى أدلى بحديث هام فى عام ١٩٨٨ لمجلة آخر ساعة. فى هذا الحديث أكد القاضى أنه نصح عبد الناصر بقوة عام ١٩٦٦ بضرورة سحب القوات من اليمن، ولكن عبد الناصر رفض. كما قال إنه كتب تقريرا ورفعه للمشير عامر عام ١٩٦٦ قال فيه إن القوات المسلحة بإمكانياتها وتسليحها ومستوى تدريبها وقتذاك لم تكن مستعدة لقتال إسرائيل، ولن تكون مستعدة قبل ١٩٧٠ على أقرب تقدير، وحتى وقتها لن تتمكن من القيام بأى تحركات هجومية، وأن سحب القوة الضاربة الموجودة فى اليمن سيكفى بالكاد للدفاع عن سيناء.

أما تاسع القادة فهو الفريق محمد صادق، مدير المخابرات الحربية الذى توفى عام ١٩٩١ والذى نُشرت مذكراته بعد وفاته، وتحديدا عام ٢٠١٨ بعنوان سنوات فى قلب الصراع. الكتاب ملئ بالمعلومات الشيقة منها تهريب ضابط نازى من ألمانيا الغربية عندما كان المؤلف يعمل ملحقا عسكريا هناك، وأنه صاحب الفضل فى كشف صفقة السلاح الألمانية لإسرائيل فى أوائل الستينات التى حصلت بموجبها إسرائيل على دبابات باتون الأمريكية (وهى الدبابات التى استخدمتها فى حرب يونيو). كما يشير إلى أنه فى أعقاب الهزيمة كانت هناك محاولة انقلاب ضد عبد الناصر مرة كل ستة أشهر فى المتوسط. على أن أهم ما يورده صادق فى كتابه هو محاولة تبرئة نفسه من تهمة التقصير التى يتهمه بها فوزى فى مذكراته، وبذا يُعتبر كتابه رد على كتاب فوزي.

وإذا كان لنا أن نستخلص بعض نقاط عامة من هذه المذكرات فنقول إن أهم ما يميزها هو غياب سردية عبد الحكيم عامر وأتباعه عما جرى فى هذه الحرب. فباستثناء صدقى محمود أنور القاضى (وربما عبد المحسن مرتجي)، ينتمى كتاب هذه المذكرات لمعسكر عبد الناصر، لا لمعسكر عامر. فعامر نفسه لم يكتب مذكراته، وإن كان كتبها كما يردد بعض الصحفيين من حين لآخر، فلم تصلنا عنها أية مخطوطات نثق كمؤرخين فى صحتها. أما أنصار عامر مثل جلال هريدي، قائد الصاعقة، وعباس رضوان، وزير الداخلية، وشمس بدران، وزير الحربية، وعبد الرحمن فهمى وعبد الحليم عبد العال وحمزة البسيونى ومحمد أبو نار، الذين اقتحموا سكرتارية عبد الناصر يوم ١١ يونيو ١٩٦٧ ليطالبوا بعودة عبد الحكيم عامر لقيادة الجيش بعد تنحيه كما فعل عبد الناصر — هؤلاء جميعا لم يكتبوا مذكراتهم ولم يدلوا بأحاديث صحافية عن تجربتهم فى الحرب. وبالتالى تطغى سردية عبد الناصر وأتباعه على مصادرنا الأصلية، وإن تباينت شهادات هؤلاء الأتباع وتضاربت رواياتهم مع بعضها البعض.

أما السمة الثانية التى يمكن أن نستشفها من هذه المذكرات فهى تحديدا هذا التضارب الذى يستاء منه الكثير من القراء، فعندما يقرؤون فى مذكرات قائد ما تفاصيل تنفيها مذكرات قائد آخر، أو عندما يجدون معلومات متناقضة تماما فيما بين هذه المذكرات، أو عندما يقرؤون اتهامات متبادلة يكيلها القادة لبعضهم البعض، يتشككون فى صحة كل هذه المذكرات. وكثيرا ما تصلنى رسائل على فيسبوك أو البريد الإلكترونى من الشباب والشابات يشكون فيها مما يرونه كذبا وتدليسا، ويلتمسون مساعدتى لهم فى اقتراح نصوص خالية من هذا "الكذب". وكثيرا ما أرد عليهم بالقول إن التضارب بين هذه المذكرات مفهوم ومنطقي؛ فمن الطبيعى أن يدافع كل قائد عن وجهة نظره، وأن يسعى جاهدا لتبرير قراراته وأفعاله. أما الخلاف بين هؤلاء القادة، فهذا أيضا أمر مفهوم خاصة إذا كنا بصدد هزيمة بثقل هزيمة يونيو يحاول كل كاتب أن يتنصل من مسؤوليتها، فمن المعروف أن للنصر ألف أب، أما الهزيمة فيتيمة.

بقلم: د. خالد فهمي

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

وأطلَّ وجهك من بعيدِ / حلوًا يرف على وجودي / ورأيت أحزاني تموت على تعانُق راحتينا / وأضاء في فمكَ ابتسام البسمة الجذلي التي أحببتها منذ التقينا / عادتْ تضيء كأنها قلب النهارْ / وتصب في نفسي فيشربها دمي / ويعبّها قلبي الظمي / ونسيت آلامي الكبارْ.

أهم ما يميز مذكرات قادة حرب ١٩٦٧ أن المؤرخين العسكريين الأكاديميين، على قلتهم، لم يستخدموها ليقدموا لنا رؤية شاملة ونقدية عن تفاصيل المعارك فى حرب يونيو. فكتابات المؤرخين الأكاديميين المصريين الذين تصدوا للكتابة عن حرب يونيو، وأهمهم فطين أحمد فريد علي، وممدوح أنيس فتحي، وإنجى جنيدي، تكاد تخلو من الاعتماد على هذه المذكرات، مفضلين الاعتماد على الوثائق الأجنبية أو النزر اليسير من المصادر الوثائقية المصرية التى سُمح لقلتهم بالاطلاع عليها. وبالتالى فإن هذه المذكرات على غنى المعلومات التى توردها ما زالت فى انتظار المؤرخ/ة الذي/التى يستطيع/تستطيع أن يحلل/تحلل ما فيها من معلومات قيمة بترٍو وموضوعية.

حديث محمد فوزى مع هدى عبد الناصر:

إعادة قراءة مصادر حرب يونيو 1967 (2)

الصراع بين ناصر وعامر كان سببا رئيسيا فى الهزيمة

الفريق مرتجي: عدم تنفيذ أوامر عبد الناصر لقادة سلاحه الجوى يوم ٢ يونيو لم يكن بسبب تقاعس قادة هذا السلاح أو استخفافهم بالقائد الأعلى وإنما بسبب استحالة تنفيذ هذه الأوامر لأسباب بنيوية

فى ختام استعراض هذه المذكرات، أقدم قراءة نقدية لإحداها، وتحديدا مذكرات الفريق أول محمد فوزى فى الحديث الهام الذى أدلى به لهدى عبد الناصر يوم ٢٠ مايو ١٩٩٦، والذى رفع لأول مرة على يوتيوب فى قناة "ناصر تى في" فى شهر يوليو ٢٠٢٥. هذا الحديث جاء فى خمس ساعات و١٣ دقيقة، ويمكن مشاهدته هنا: https://youtu.be/DZQQrfto__1j

وقد قسمَته القناة على ٤٠ حلقة سأكتفى هنا بقراءة الجزء الحادى عشر منها، وهو الجزء الذى يسرد فيه فوزى إرهاصات الحرب، وتفاصيل اللقاءات الأخيرة التى أجراها عبد الناصر مع قادة القوات المسلحة، ويمكن مشاهدة هذا اللقاء باستخدام هذا الرابط: https://youtu.be/NrWUStT٦KSM

فى هذا الحديث نرى فوزى تارة يردد أفكارا سطرها فى مذكراته المنشورة قبل إجراء هذا الحدث بثلاثة عشر عاما، وتارة أخرى يسهب فى تقديم تفاصيل إضافية، وتارة ثالثة يراجع أفكاره وتحليلاته وكأنه يشتبك مع الكتاب الذين أدلوا بدلوهم بعد نشر مذكراته، فينقد هذا ويثنى على ذاك. على أن أهم ما يميز هذا الحديث هو تفضيل فوزى للتحليلات البنيوية وعدم الاكتفاء بكيل الاتهامات على أشخاص بعينهم.

ومن أمثلة ذلك إعادة تقييمه لواقعة رسالة عجلون اللاسلكية، رسالة "عنب، عنب، عنب" التى أرسلها عبد المنعم رياض من الأردن صبيحة يوم ٥ يونيو (ق ١٦:٢٠). فعوضا عن تفسير الواقعة على أنها كانت نتيجة خطأ ارتكبه عريف أدى إلى فشل القيادة فى التصدى للهجوم الإسرائيلى على قواعدنا الجوية، يقدم فوزى فى هذا الحديث تحليلا أكثر عمقا. فجهاز اللاسلكى الذى كان بإمكانه فك الشفرة ومعرفة محتويات رسالة رياض الخطيرة، "الجهاز اللاسلكى بتاع الاستطلاع الاستراتيجى بتاع مصر"، لم يكن موجودا فى هيئة العمليات فى القيادة العامة للقوات المسلحة، بل كان موجودا فى مكتب وزير الحربية شمس بدران، وهو أمر شاذ إذ أن مكتب شمس بدران، بل وزارة الحربية برمتها، ليست معنية بالعمليات العسكرية. ثم يشرح فوزى الخلفية التاريخية لهذا الخلل، فمن الطبيعى أن يكون لدى مكتب وزير الحربية جهاز يتابع به ما يرسله الملحقون العسكريون من معلومات عن "بون أو واشنطن"، ولكن شمس بدران لم يكن باستطاعته التعامل مع رسالة خطيرة كرسالة عجلون بالسرعة المطلوبة، إذ أن هذه مسؤولية هيئة العمليات أو القيادة العامة المعنية بالأمور العسكرية، لا بمكتب وزير الحربية المعنى بالنواحى السياسية.

ويقدم فوزى مثالين آخرين للفشل الاستخباراتي، وفى كلتا الحالتين يسهب فى شرح الأبعاد البنيوية، وليس فقط التفاصيل التقنية، لهذا الفشل. فعندما تبين للمشير عامر أن الحرب واقعة لا محالة وبعد أن أجرى أربع تعديلات جوهرية على الخطة "قاهر" فى غضون أيام قليلة، الأمر الذى أنهك الجنود وأتلف المعدات قبل أن تنطلق رصاصة واحدة، بدأت تساوره الشكوك فى المحور الذى ظل لمدة طويلة متأكدا أن الإسرائيليين سيهجمون منه، أى المحور الجنوبى عند الكونتيلا. عندها أمر عامر بإجراء طلعات جوية استطلاعية على إيلات. وبالفعل قامت طائرتان استطلاعيتان بتصوير الميناء الإسرائيلي، ولكن تبين عند فحص الصور أنها لميناء العقبة الأردنى لا إيلات. جن جنون عامر وأمر بإعادة المحاولة، ولكن بعد نجاح المحاولة الثانية وبعد أن تبين لعامر أن العدو لم يحشد سوا لواء مشاه ميكانيكى ولواء مدرع، تبين أنه كان خاطئا فى عدم أخذ نصائح قادته الذين أكدوا له أن العدو سيهجم من القطاع الشمالى لا الجنوبي. كان هذا يوم ٣ يونيو. يعتقد فوزى أن عامر وقتها "حط دماغه بين إيديه، وابتدى يصرخ وابتدى يتجنن." ولكن سرعان ما ابتعد فوزى عن التفسير السهل، أى انهيار عامر، وعوضا عن ذلك قال إن المشكلة الأكبر كانت إدراك عامر أن السيف قد سبق العذل، فليس لديه وقت لكى يجرى تغييرا خامسا على قواته التى أعياها تخبط قراراته. (ق ١٤:٣٠)

ليس معنى هذا أن فوزى لا يلوم عامر ولا يراه المتسبب الأول فى الهزيمة، فحاله فى هذا الحديث كحاله فى مذكراته؛ ففى رأيه كان عامر قائدا مفتقدا لأبجديات مقومات القيادة: قليل الخبرة الميدانية، مفتونا بقوة جيشه، متهاونا فى تقدير قوة العدو، محيطا نفسه بأهل الثقة ومستبعدا أهل الخبرة، وغير مدرك لخطورة الوضع. ومن أمثلة ذلك يسرد فوزى واقعة تقرير عاجل تلقاه عامر فى غرفة نومه فى القيادة العامة فى السابعة من صباح يوم ٥ يونيو، أى قبل بدء القتال بساعات قليلة. كاتب التقرير كان مدير مخابرات العريش، المقدم إبراهيم سلامة، الذى كتب يقول إن العدو قام بتغيير دوريات فى ذلك اليوم. قام على شفيق صفوت، سكرتير المشير، بإدخال التقرير لعامر فى غرفة نومه فى القيادة، فما كان من عامر إلا أن قرأ التقرير، ولكنه لم يدرك فحواه وهو أن العدو قام بفتح تعبوى بغرض القيام بهجوم شامل، "فحط الورقة تحت المخدة وما فيش حاجة حصلت". يقصد مافيش حاجة حصلت لعامر، أما الإسرائيليين فشنوا هجومهم الكاسح عبر المحورين الشمالى والأوسط.

طوال الجزء الحادى عشر من التسجيل والذى يمتد لثلاثة وعشرين دقيقة ينحاز فوزى بوضوح لعبد الناصر وينفى عنه مسؤولية الهزيمة. ويتضح هذا أكثر ما يتضح عند سرده لوقائع الاجتماع الشهير الذى حضره عبد الناصر فى القيادة العامة للقوات المسلحة يوم ٢ يونيو. فى هذا الاجتماع أكد عبد الناصر أن احتمالات الحرب قد أصبحت ١٠٠٪ بعد تعيين موشى ديان كوزير دفاع فى إسرائيل وتشكيل حكومة حرب هناك فى اليوم السابق. وتنبأ أن إسرائيل ستبادر بالهجوم فى ظرف يومين أو ثلاثة أيام على أبعد تقدير، وفى الأغلب ستهجم على مطاراتنا فى صباح يوم الإثنين المقبل، ٥ يونيو. وبالرغم من حتمية الحرب، رأى عبد الناصر أن مصر كسبت المعركة السياسية، وأن إسرائيل قد خسرتها على طول الخط، ولكن من الناحية الأخرى فإن الظروف الدولية تحتم عدم إتباع استراتيجية عدوانية حتى لا نضحى بموقف أمريكا وسائر الدول الكبرى منا. وبالتالى أمر عبد الناصر قادته العسكريين ألا يبادروا بتوجيه الضربة الأولى لإسرائيل، وأن تتلقى مصر تلك الضربة الأولى، وبالتالى يتحتم عليهم العمل على تشديد الدفاع الجوى ونقل الطائرات من مطارات سيناء لمطارات الداخل. هذا الاجتماع تناولته الكثير من الأقلام بالدراسة والتحليل، وتساءل الكثير من الكتاب (ومنهم الفريق مرتجى نفسه فى مذكراته) عن كيفية معرفة عبد الناصر بتوقيت المعركة بهذه الدقة، وعما إذا كان بمقدوره قراءة الغيب. يرد فوزى على هذه "المهاترات" بالقول إن عبد الناصر "كان بيقرأ دوسيه ٥٦" وأنه أدرك بعد أن علم بالتعبئة العامة التى أجرتها إسرائيل، ورفع درجة الاستعداد فى قواتها المسلحة، والفتح التعبوى للقوات، وتعزيز الوقاية الجوية داخل إسرائيل، وتعيين موشى ديان وزير دفاع—أدرك بعد علمه بهذه الإجراءات الإسرائيلية إنها تكرار لإرهاصات حرب ٥٦. وبذا فند فوزى تهكمات البعض بأن عبد الناصر كان مكشوف عنه الحجاب، وحاجج بأنه قارئ جيد للتاريخ.

ويعزز فوزى دفاعه عن عبد الناصر عندما يؤكد أن أيا من تنبيهات عبد الناصر بُلغ للتشكيلات القتالية، وأن قادة القوات الجوية الحاضرين فى هذا الاجتماع هم المسؤولون عما حصل لقواتهم وقواعدهم وطائراتهم إذ أنهم، وأولهم عامر نفسه، لم يصدقوا عبد الناصر ولم يأخذوا كلامه مأخذ جد. وخير دليل على هذا كان قيام عامر بزيارة الجبهة صباح يوم ٥ يونيو، أى نفس اليوم الذى تنبأ عبد الناصر أن يقوم الإسرائيليون بشن هجومهم فيه. الأمر الذى يعني، حسب فوزي، "عدم قناعة المشير بإن الكلام دا كام مضبوط من الرئيس." ويزيد على الفور: "من هنا بيحصل علامة استفهام على العلاقة الموجودة بين عبد الحكيم عامر وبين الريس."

الساسة والعسكر:

قبل الانتقال لهذه النقطة المحورية، أى العلاقة بين عبد الناصر وعامر، يجب الانتباه لأن الفريق عبد المحسن مرتجى لديه رد قوى على اتهام عبد الناصر وفوزى والكثير من المراقبين والمحللين لاحقا لقيادات الجيش، ولقيادات سلاح الطيران تحديدا، بعدم الأخذ بتحذيرات عبد الناصر عن حتمية قيام إسرائيل بالهجوم على قواعدنا الجوية فى ظرف يومين أو ثلاثة على الأكثر. فكثيرا ما نقرأ أن ما دار فى اجتماع ٢ يونيو الخطير لم يُبلغ لقادة التشكيلات، وأن القادة المجتمعين لم يأخذوا تحذيرات عبد الناصر مأخذ جد ولم يعملوا بأوامره بضرورة نقل الطائرات من مطارات سيناء لمطارات العمق لتقليل الخسائر قدر الإمكان فى ظل اتخاذ عبد الناصر قراره السياسى بضرورة عدم البدء بالهجوم وتلقى الضربة الأولى.

فى حديث أدلى به لمجلة آخر ساعة عام ١٩٧٤ يقول الفريق عبد المحسن مرتجى إنه كان من المستحيل تنفيذ أوامر عبد الناصر بنقل الطائرات لمطارات العمق لحمايتها من الغارات الإسرائيلية المرتقبة، وذلك لأن "كان لازم يكون عندى دُشم، كان لازم يكون عندى ملاجئ، كان لازم يكون عندى مطارات سرية جدا بحيث ... أحط فيها الطائرات علشان لا تظهر. ولكن كل هذه المطالب اتعملت بعد سنة ١٩٦٧. كلها كان بيُطالب بيها ﷺقبل ١٩٦٧رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبنشطب من الميزانية لأن الحالة الاقتصادية كانت لا تسمح."

بمعنى آخر، عدم تنفيذ أوامر عبد الناصر لقادة سلاحه الجوى يوم ٢ يونيو لم يكن بسبب تقاعس قادة هذا السلاح أو استخفافهم بالقائد الأعلى للقوات المسلحة كما يحاجج فوزي، وإنما بسبب استحالة تنفيذ هذه الأوامر لأسباب بنيوية تعود للحالة الاقتصادية المزرية وقلة الاعتمادات المالية المخصصة فى الميزانية للدفاع الجوي، كما يقول مرتجي.

ما نحن بصدده هنا هو تناحر بين الساسة والعسكر فيمن تسبب فى الهزيمة، فالعسكر يقولون إن عبد الناصر كقائد سياسى أصدر أوامر لقواته المسلحة كان من المستحيل تنفيذها، أما الساسة فيقولون إن العسكر تقاعسوا عن تنفيذ أوامر قائدهم الأعلى. وبالرغم من مرور حوالى ستين عاما على هذه الحرب، ما زلنا نفتقر لتحليل موضوعى لهذا التناحر بين الساسة والعسكر.

جمال وعبد الحكيم:

أخيرا فلنعد للموضوع المحورى الذى يشير له الفريق فوزى فى حديثه مع هدى عبد الناصر، والذى يوضح فيه عمق الخلاف بين عبد الناصر وعامر. هذا الخلاف كان خافيا عن الشعب، ولكن أعضاء النخبة السياسية والعسكرية كانوا يشعرون به وبعضهم كان على دراية بتفاصيله.

هذا الخلاف، بل الصراع، فى رأى الكثير من المحللين كان سببا رئيسيا فى الهزيمة، إن لم يكن السبب الرئيس فيها. فأمين هويدى الذى أصبح وزيرا للحربية بعد الهزيمة كتب قائلا: " كان فى رأيى — وما زال — أن السبب رئيسى فى الهزيمة كان يتركز فى الفجوات الكبيرة فى العلاقة بين القيادة السياسية والعسكرية اذ شكلت القيادة العسكرية والقوات المسلحة بالتبعية نتوء خطيرا فى بناء الدولة. ولقد كان فى رأيى – حتى فى الأيام الأولى بعد الهزيمة – أن لا أمل فى أى إصلاح إلا إذا أبعد المشير ورجاله وكافة القادة الكبار عن مناصبهم فهم المسؤولون الحقيقيون عما لحق بالبلاد. وكان من الواجب أن يصدر الرئيس جمال عبد الناصر قراراته الشاملة الفورية ليحسم الموقف بطريقة جذرية بعد تراجعه عن التنحى يوم ١٠ يونيو ٦٧. إلا أن الرئيس لم يفعل فقد كان دائم التردد عند مواجهة الأمور فى القوات المسلحة، فهذه وللأسف الشديد كانت حقيقة واقعة سواء قبل النكسة فى وجود المشير أو بعد النكسة فى غيابه. كان الرئيس يخشى القوات المسلحة، فهى الأداة التى استخدمها فى التغييرات الثورية الهائلة التى قام بها منذ قيام الثورة وكان يتحاشى الاصطدام بها حتى لا تصبح أداة فى يد غيره لإحداث تغيير غير مرغوب فيه. ولذلك كان قراره فى تأمين النظام عاملا أساسيا فى حساباته..." هويدي، الفرص الضائعة، ص ١٢٢-١٢٣.

أما طه المجدوب فيقول: " وباختصار شديد... نقول إن النتيجة الحتمية لاستمرار هذا الصدام بين السلطة السياسية ممثلة فى رئيس جمال عبد الناصر والسلطة العسكرية ممثلة فى المشير عبد الحكيم عامر ... هى حدوث خلل خطير فى أسلوب صناعة القرار السياسى السليم وبالتالى فى إصدار القرارات السياسية متوازنة مع الالتزامات العسكرية والمتطلبات الضرورية لإدارات صراع مسلح ناجح، كما انعكس الخلل بشدة على أسلوب اتخاذ القرارات العسكرية وعلى وسائل معالجة الأزمة وتجريدها من مقومات الجدية." طه المجدوب، هزيمة يونيو: حقائق وأسرار ص ٨١.

ومن ناحيته، يقول محمود رياض، وزير خارجية عبد الناصر، فى مذكراته (الجزء الثالث ص ٣٧): "ولا شك أن الصراع الخفى بين رئيس عبد الناصر عبد الحكيم عامر كان من بين الأسباب الرئيسية لخسارة معركة سيناء، وهذا الصراع لم يكن أحد يعرف مداه بالكامل، فقد حرص عبد الناصر على تجاوزه حتى لا يحدث تصدع فى الحكم، كما حرص عبد الحكيم على عدم الكشف عنه حتى يستطيع الاحتفاظ بصلاحياته الضخمة وسيطرته كاملة على القوات المسلحة وميزانياتها مما جعل قيادته مستقلة تماما عن بقية أجهزة الدولة."

وأخيرا يقول محمد فايق، وزير إعلام عبد الناصر ومنسق العلاقات مع حركات التحرر الوطنى فى إفريقيا: "فى رأيى أن ﷺترك الإشراف على الجيش لعامررَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أكبر خطأ ارتكبه عبد الناصر، وكان سبب رئيس فى هزيمة عام ١٩٦٧. لقد كانت هذه العلاقة حقا كعب أخيل بالنسبة إلى عبد الناصر." (محمد فايق، مسيرة تحرر، ص ٢٠٢) .

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للمحللين والمتابعين عن بعد، فالأحرى أن يكون لفوزى رأى قوى عن هذه العلاقة الملغزة بحكم منصبه كرئيس أركان القوات المسلحة أثناء فترة استئثار عامر بالقرار داخل المؤسسة العسكرية وبعد أن أصبح هو القائد العام للقوات المسلحة بعد أن أطاح عبد الناصر بعامر.

وبالفعل، نرى فوزى فى حديثه مع هدى عبد الناصر يقول إن "عبد الحكيم عامر نجح فى إبعاد فكر الرئيس عبد الناصر عن القوات المسلحة كلية"(ق ١:٥٩)، وما أضاف فوزى كلمة "فكر" إلا تعففا عن وصف فداحة ما قام به عامر بحق عبد الناصر، وتسترا على فشل عبد الناصر فى التحكم فى هذا القطاع المركزى فى نظامه، أى القوات المسلحة.

وفى مقطع آخر من هذا الحديث الهام، وتحديدا فى الجزء الرابع وفى الدقيقة ٦:٣٥ منه يقول فوزى إنه كان سعيد الحظ بأنه شهد فترتين من فترات القوات المسلحة، فترة استئثار عبد الحكيم بالسلطة داخل الجيش قبل ٦٧، والفترة التى "استلم فيها الرئيس عبد الناصر مهمته الحقيقية، الاسمية والحقيقية. هو القائد الأعلى للقوات المسلحة فى الفترتين، ولكن فى الفترة الأولى لم يكن يمارسها عمليا بسبب موقف عبد الحكيم عامر بالنسبة له."

ويسوق فوزى مثالا فى غاية الدلالة على تأثير إبعاد عامر لعبد الناصر من القوات المسلحة على القدرة القتالية للجيش. المثال يتعلق بتجنيد خريجى الجامعات قبل ١٩٦٧. يقول فوزى إن الدستور والقانون لم ينصا على إعفاء الجامعيين من الخدمة العسكرية، ولكن عامر وقادة الجيش، باستثناء فوزي، قرروا أن تجنيد الجامعيين يشكل خطرا على الجيش. "ده منهم قاعد فى المدرج فى الجامعة بيقول للأستاذ إشمعنى. فالبنى آدم دا هيجى يقول لنا إشمعنى. فبعد الكلمة دى هيتلموا خمسة ستة ويعملوا انقلاب زى اللى احنا عملناه." وكانت نتيجة هذا القرار الذى اتخذه عامر ورفقاؤه من قيادات الجيش دون الرجوع لعبد النصر أن استخدموا الكشف الطبى لإعفاء الجامعيين من التجنيد، ولم يجنَد من الجامعيين سوى ٣٪ قبل ١٩٦٧.

يقول فوزى إنه صمم بعد الهزيمة على تجنيد الجامعيين، وعندما فاتح عبد الناصر فى الموضوع قال له عبد الناصر إن عامر كان قد أبلغه أن هذا الموضوع نوقش فى القيادة وتقرر رفضه. لكن فوزى صمم على رأيه قائلا: "لن ألغى العضلات. ولن ألغى العدس والفول إلا بمخ نظيف، مخ يسمح بالتجاوب مع الأسلحة الحديثة. ما فيش حد هينقذنى من هذه الورطة إلا خريج الجامعات أو المعاهد العليا."

نكون أو لا نكون:

فى ٢٥ أبريل ١٩٦٨ أعلن عبد الناصر رفضه لحل سلمى منفصل، وقال: " موضوع إزالة آثار العدوان أكبر من الجلاء عن سيناء. هل سنبقى الدولة المستقلة إللى حافظت على استقلالها وعلى سيادتها ولم تدخل ضمن مناطق النفوذ وإلا هنتخلى عن هذا؟ إحنا مجروحين، جزء من أرضنا محتل. ولكن رغم هذا رغِم الجرح، هل هنتنازل عن كل التزاماتنا العربية وكل المُثل وكل الحقوق ونقبل إن إحنا نقعد مع إسرائيل للتفاوض للوصول إلى حل؟ إسرائيل بتقول كده. أمريكا بتقول كده. ... إحنا قلنا هنجرب الحل السياسى وهنبنى القوة العسكرية ولكن ما قلناش أبدا إن إحنا هنسلم." وأضاف: " الموضوع مش هو الجلاء عن سيناء وحدها. الموضوع أكبر من كده بكثير. الموضوع هو أن نكون أو لا نكون."

ولكى نثبت كينونتنا أقبلنا نحن المصريون على حرب الاستنزاف، تلك الحرب التى خضناها على مدار ثلاث سنوات، من ٦٧ إلى ٧٠، معتمدين فيها على سلاح ومعونة فنية سوفيتية قلما منحها السوفييت لحلفائهم خارج حلف وارسو. كما اعتمدنا على هؤلاء المجندين الجدد حاملى الشهادات الجامعية الذين سعى فوزى لتجنيدهم. وقد تكبدنا فى هذه الحرب خسائر فادحة فى الأرواح وصلت فى شهور الذروة إلى ١٥٠٠ شهيد فى الأسبوع الواحد، وذلك لبناء ما عرف بحائط الصواريخ حتى نحيّد سلاح الطيران الإسرائيلى الذى ما انفك يقصف مدارسنا ومصانعنا ومطاراتنا ومدننا طوال عامى ٦٩ و٧٠. وبحلول شهر أغسطس ١٩٧٠ تمكن سلاح الدفاع الجوى من نقل بطاريات الصواريخ المضادة للطيران إلى حافة قناة السويس، وبذا أصبح للجيش البرى غطاء يحميه حينما يستكمل استعداداته لعبور القناة، وهو ما تم بالفعل فى حرب أكتوبر ١٩٧٣، ففى هذه الحرب لم يكن سلاح الطيران المصرى بل سلاح الدفاع الجوى المصرى هو الذى حمى فرق المشاة الخمس من العبور الناجح لقناة السويس يوم ٦ أكتوبر.

لم يكن هدف حرب الاستنزاف إجبار إسرائيل على الانسحاب من سيناء، بل كان الهدف المحدد لهذه الحرب هو الحفاظ على الروح المعنوية للمقاتلين، ورفع معنويات الشعوب المصرية والعربية، وتهيئه الظروف المناسبة للانتقال إلى مرحلة العمليات الهجومية، وإبقاء مسألة احتلال إسرائيل للأراضى العربية فى قائمة المشاغل الدولية؛ وإزعاج القوات الإسرائيلية وإيقافُها ووضعُها وشعبَ إسرائيل تحت الضغط المعنوى المستمر؛ نتيجة ما يقع بجنودها على الجبهة من خسائر مستمرة.

ولنترك الكلمة لعيزر وايزمان، أحد أشد الصقور الإسرائيليين وأغلظهم، يعترف بهزيمة إسرائيل فى حرب الاستنزاف:

"مع استمرار الحرب، دون أن يجد جيشنا طريقة لوضع حد لها، ازداد يقيني، على عكس الآخرين، بأن هذه هى المرة الأولى التى لا ننتصر فيها. قلت مرات لا تُحصى: لقد فَشلنا فى هذه الحرب، لم نفهمها بشكل صحيح، عندما وَافق المصريون على وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠، فسّرنا ذلك بأنه اعتراف من جانبهم بأنهم لم يعودوا قادرين على تحمل قصفنا ﷺالجوي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ... ولكنى الآن ليس لديّ ظلُّ شكٍّ فى أن المصريين أرادوا وقف إطلاق النار من أجل نقل نظامهم الصاروخى إلى الأمام إلى القناة؛ حتى تتمكن من تحييد قواتنا الجوية عندما تعبرٍ وحداتهم قناة السويس. كل هذا يدعم كلا ادعاءَيّ. أولاً، أسفرت حرب الاستنزاف، التى سَفَك فيها أفضل جنودنا دماءهم، عن إطلاق يد المصريين على مدى ثلاث سنوات (١٩٧٠-١٩٧٣) للتحضير لحرب أكتوبر ١٩٧٣ الكبرى. إذا كان الأمر كذلك، فسيكون من الحماقة الادعاء بأننا انتصرنا فى حرب الاستنزاف، على العكس من ذلك، على الرغم من كل خسائرهم؛ فإن المصريين هم الذين انتصروا."

كان عظيم المجد والأخطاء:

ولأختتم حديثى ببعض الكلمات التى تلخص ما وددت طرحه.

لقد كان عبد الناصر عظيم المجد والأخطاء، كما قال عنه الشاعر العراقى محمد مهدى الجواهري. إنى أعتبر السنوات الثلاث الأخيرة من حياة جمال عبد الناصر أفضل سنواته، كما أعتبر قراره بشن حرب الاستنزاف وانتصاره فيها أعظم إنجازاته.

لقد كانت حرب الاستنزاف إنجازًا عبقريًا بكافة المقاييس؛ فبعد ثلاث سنوات فقط من هزيمة مروّعة قلّ مثيلها فى العالم، استطاعت مصر، قيادةً وجيَشًا وشعبًا، أن تعيد بناء قواتها المسلحة، وأن تمنع إسرائيل من فرض تسوية مُزْرية عليها، وأن تُلحقَ بإسرائيل خسائرَ ثقيلةً حرمتها من جنى ثمار نصرهَا، وأن تمهد الطريق للمرحلة المقبلة من الصراع المسلح مع العدو.

ولكنى أعتبر أيضا هزيمة يونيو أعظم أخطائه وانعكاس لخلل جوهرى فى النظام السياسى الذى أنشأه. صحيح أن إسرائيل كانت قد أعدت العدة للإيقاع به؛ وصحيح أن الولايات المتحدة كانت قد أحكمت الحصار عليه بعد أن أطاحت برفاقه من زعماء حركات التحرر الوطني؛ وصحيح أن غرماءه فى العالم العربى هاجموه بضراوة وعملوا على جره لحرب لم يكن مستعدا لها؛ وصحيح أن عبد الحكيم عامر أجج أتون الحرب فى مغامرة صبيانية لم يكن يحسب حسابها.

كل هذه صحيح، لكن عبد الناصر هو المسؤول الأول عن الهزيمة، فهو الذى اختار عامر ليتولى أمور الجيش، وهو الذى هندس النظام السياسى الذى سمح لعامر ورفاقه أن يستأثروا بالجيش وأن يملوا عليه آراءهم وأن يدفعوه لحرب كان يدرك أنه غير مستعد لها. وفوق هذا وذاك، كان من سمات هذا النظام السياسى المهترئ أن يجبر عبد الناصر على الاستقواء بالشارع لمواجهة الجيش، وأن يعتمد على خطابته وكاريزمته لتحييد الجيش، والنتيجة كانت تجريف النظام السياسى المصرى وتحويله لنظام شعبوى يفتقر لمؤسسات قوية كان بوسعها التصدى للخطر الوجودى الذى تمثله إسرائيل.

إنى أستحضر ذكرى حرب يونيو الأليمة ومسؤولية عبد الناصر الثقيلة عنها فى وقت يمر فيه عالمنا العربى بظروف مشابهة. فإسرائيل تعربد فى منطقتنا وتشن حرب تهجير وإبادة للفلسطينيين تفوق فى ضراوتها كل ما شهدته منطقتنا من أهوال وفظائع؛ وحكامنا مستعدون للاستسلام ولتناسى القضية الفلسطينية برمتها؛ وقطاع كبير من نخبنا الثقافية يدعو لطرح فكرة المقاومة جانبا باسم العقلانية والواقعية السياسية.

ولكننا عندما نسترجع ذكرى حرب ٦٧ ندرك أن خيار المقاومة كان الخيار الصائب برغم تكلفته العالية. على أن استرجاع ذكرى ٦٧ يحثنا أيضا على مساءلة حكامنا والتصميم على محاسبتهم وإخضاعهم لرقابتنا وحكمنا.

نكون أو لا نكون. قالها عبد الناصر للفت النظر لطبيعة الخطر الوجودى الآتى من الخارج. ولكن التصدى لهذا الخطر الخارجى لا يجب بأى حال من الأحوال أن يثنينا عن مواجهة الخطر الوجودى الآتى من الداخل.

بقلم: د. خالد فهمي

اجتماع القادة العسكريين، ٢ يونيو ١٩٦٧

الصورة مأخوذة قبل وصول عبد الناصر لهذا الاجتماع

الفريق أول محمد فوزي، رئيس أركان القوات المسلحة

زعماء حركات التحرر الوطني الذين أطيح بهم في انقلابات يمينية في الستينات

عامر أجرى أربع تعديلات جوهرية على الخطة "قاهر" فى غضون أيام قليلة، الأمر الذى أنهك الجنود وأتلف المعدات قبل أن تنطلق رصاصة واحدة

جهاز اللاسلكى الذى التقط إشارة بدء الحرب لم يكن موجودا فى القيادة العامة للقوات المسلحة بل فى مكتب وزير الحربية شمس بدران

حديث عقل وقلب الى المثقفين

السنوات الثلاث الأخيرة من حياة جمال عبد الناصر أفضل سنواته، وقراره بشن حرب الاستنزاف وانتصاره فيها أعظم إنجازاته فقد كانت إنجازا عبقريًا بكافة المقاييس

تكبدنا فى حرب الاستنزاف خسائر فادحة فى الأرواح وصلت إلى ١٥٠٠ شهيد فى الأسبوع لبناء حائط الصواريخ وتوفير غطاء يحمى القوات البرية حينما تستكمل استعداداتها لعبور القناة

قبل بدء القتال بساعات قليلة أرسل مدير مخابرات العريش أن العدو قام بفتح تعبوى بغرض القيام بهجوم شامل "فحط الورقة تحت المخدة وما فيش حاجة حصلت"!

يوم 3 يونيو تبين لعامر أنه كان خاطئا فى عدم أخذ نصائح قادته بخصوص القطاع الذى سيهجم منه ولم يكن هناك وقت لإجراء تغيير خامس على قواته التى أعياها التخبط

عيزرا وايزمان: من الحماقة الادعاء بأننا انتصرنا فى حرب الاستنزاف، على العكس من ذلك، فإن المصريين هم الذين انتصروا

عبد الناصر توقع ٥ يونيو موعدا للهجوم قبلها بثلاثة أيام وأمر قادته العسكريين ألا يبادروا بتوجيه الضربة الأولى لإسرائيل

السخرية النبيلة فى الملهاة المصرية ..

قراءة فى رواية: "نقطة نظام" لصبحى موسى

تختفى طائرة، وتنمحى منطقة بكاملها فى قرية مصرية أثناء زيارة صحفى مغمور، وروائى مبتدئ لها، وتلجأ الدولة لحلها المعروف: إرسال قوة أمنية كبرى للسيطرة على الوضع، وقمع التمرد أيا كان القائم به. وهكذا يتحول الصحفى إلى متلق للأخبار، والمتعلم المثقف إلى مستمع للحكايات ثم مصَدق لها ثم مروج لها ثم أحد صناعها، فالحضرى القادم من العاصمة حيث العلم يتحول إلى مؤمن بالجن والعفاريت والقوى الخفية، ثم إلى قطب الأقطاب: "المهدى المنتظر"

تلك إشارة – أعتذر عنها لأننى رأيتها ضرورية فى قراءتي، وربما لا تكون كذلك – عن رواية "نقطة نظام" الصادرة فى ٢٣٨ صفحة واثنين وثلاثين فصلاً، عن الدار المصرية اللبنانية، للروائى المصرى صبحى موسى.

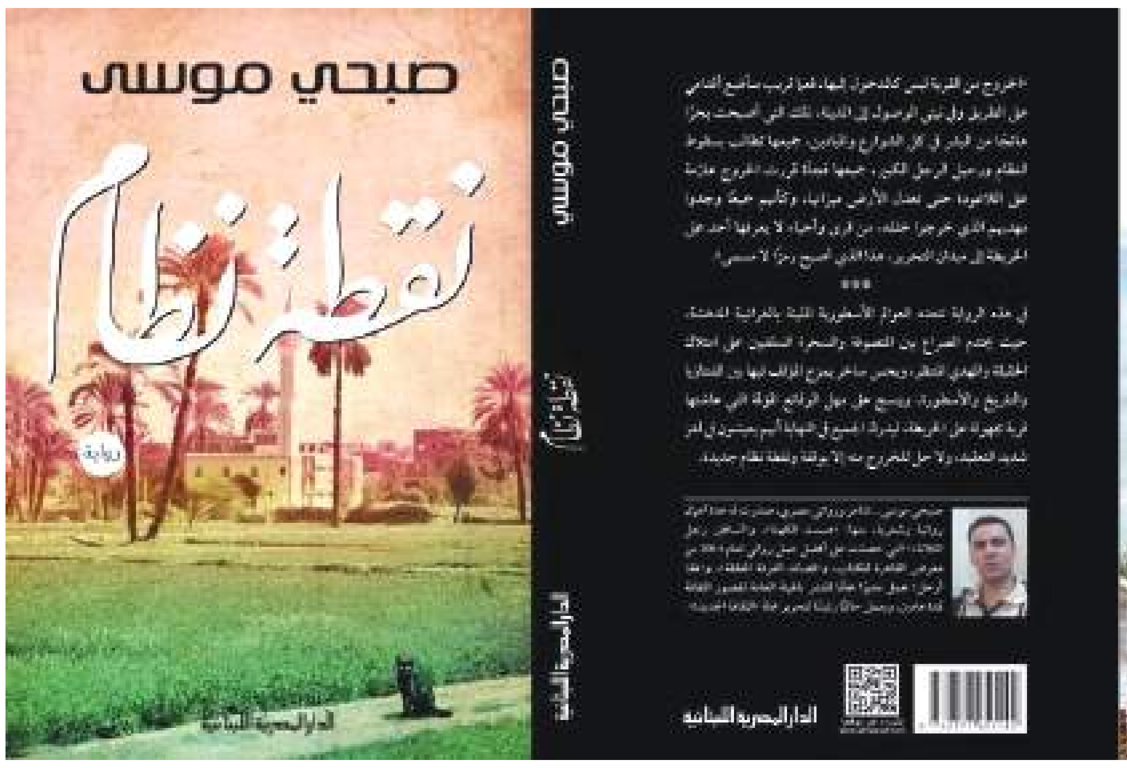

الإشارة

الثانية أن هذه الرواية بعض أحداثها قد وقعت بالفعل فى قرية شما، وأشهرها "عركة المياه" وصعود نجم عائلة "أبوحريرة" التى تتاجر فى المخدرات، وقدرتها على السيطرة على مجريات "الأمن العام" فى قرية شما وما يجاورها، وما يخضع لها من أراض على الضفة الأخرى من نهر النيل فى العمق الصحراوى التابع لمحافظات المنوفية والجيزة والبحيرة، وانكسار هذه العائلة مؤقتًا مع ثورة يناير والقبض على بعض كبارها، ثم إطلاق سراحهم؛ ليكون أول ما يفعلونه هو قتل الشهيد "محمد العليمي" فى مشهد لم تستطع السينما المصرية صنعه؛ إذ قام أحد المفرج عنهم بتفريغ أربع خزائن بندقية آلية فى جسد الشهيد، وحين تحركت الشرطة جاء ذلك لقمع المظاهرات التى لم تقمع؛ فاضطرت للقبض على القاتل.. لكن الروائى هنا يختار اسم "أبوالنمرس" بديلا لأبى حريرة. ﷺيمكن الرجوع لأرشيف صحيفتي: اليوم واليوم السابع والبحث عن: محمد العليمى – أبوحريرة، كما يمكن مطالعة قنوات التلفزيون على اليوتيوب بالبحث عن الاسمينﷺ

الإشارة الثالثة أن تقنيات الكتابة التى وضعها الكاتب تضع القارئ فى حيرة، هل يصدق ما يقول، أو لا يأخذه على محمل الجد، أو يصنع نسيجًا خاصًا؟ وقد اخترت الثالثة؛ فرغم أن الكاتب يختم روايته بتاريخ أغسطس ٢٠١١؛ ورغم أن البعض سيقول إن النص يتحدث عن أحداث رئيسية منها ثلاثة حدثت هي: عركة المياه، وصعود أبوحريرة، وما يجرى منهم، وثورة يناير، وحدث مفترض: اختفاء منطقة بسكانها وطائرة بركابها؛ فإن قراءتى لمسار النص، تفترض شيئًا آخر.

(١)

"العجائز" و "خبراء الحروب القديمة" هكذا تطالع أول ما تطلع فى عتبة الغلاف الخلفي، وربما تتعامل معهما على أنهما من قبيل الاستدعاء الحر، على أن الدخول لميدان الرواية المتشعب، سيكشف أننا أمام وصفين كاشفين، لما يجرى من "ارتجال منهجي" فى كل أزمة تتصدى له الحكومة المصرية، الأمن ثم الأمن ثم الأمن. فيشبه الأمر "قتل بعوضة بقنبلة نووية" كما يقول بركة ساكن فى رائعته "الجنقو" وحتى تخفى الجهات خيبتها وانتهاكاتها فإنها تزرع أو تستعيد أحد رجال الحزب الأثرياء ثراء غير مشروعًا، ومعه عدة الشغل: "المسبحة وما يلازمها" ومشاديده: "رجال الخرافات والصف الثاني" لذلك فالعجائز الذين شاهدوا ارتفاع الموج الغريب وانكساره مخلفًا الأورام السرطانية الجديدة، و "خبراء الحروب القديمة" الين يعرفون مقطع الأمر من مطلعه.. هم على الحقيقة ملوك الليل وحرس النهار.

(٢)

فى وصف الروائى (الخائن) لقريته: " التى لا يعرف أحد مكانها على الخريطة، وإذا ذكرت فى أجهزة الإعلام فإن المذيعة تقرأها بشكل خاطئ" هى قرية إذن من آلاف القرى المصرية التى لا يعرف أهلها غالبا سبب تسميتها، ولا يعرفها إلا من أهلها ومن يتعاملون معهم، ويتواطأ الروائى فيتجاهل أهله مفضلا أن يكتب عن غير أولئك الذين (ما زالوا يسكنون بين العشش وحوائط الطوب اللبن) ورغم محاولة القار إخفاء هذه القرية، وانطباق صفاتها على معظم القرى المصرية؛ فإن ذكر حادثة مشهودة يكشف اسم هذه القرية: "عركة المياه"

عركة المياه هى حادثة جرت فى قرية شما التابعة لمركز أشمون محافظة المنوفية، وهى مسقط رأس الروائى – الذى عمل فترة فى مكتب القبس الكويتية – وسبب الحادثة هى منع المياه عن أرض هذه القرية لصالح قرية أحد مجلس قيادة ثورة يوليو، ولما وجد الفلاحون زروعهم تجف، وعمدتهم لا يفعل شيئًا، قاموا بفتح المياه؛ بفؤوسهم، شاركهم فى هذا العمل "العيارون والشطار" والتقطت إسرائيل الخبر؛ لتعلن أن هناك قرية مصرية أعلنت الاستقلال عن نظام عبد الناصر؛ فاتجهت المدرعات لسحق التمرد الانفصالي.

يشبه الروائى قريته بالبطيخة – وهى جغرافيا قريبة الشكل من ذلك – لكنه يتخذ هذا الوصف الماهر؛ ليقربها من الطبيعة المتعارف عليها للأرض: البيضة، الدحوة، البطيخة.. ربما ليخرج بها من كونها قرية محددة إلى اعتبارها نموذجًا أو علامة أو رمزًا أو عتبة لفهم ما يجرى على هذه الدولة منذ آلاف السنين.

(٣)

يبنى الروائى نصه على أربعة أحداث، يورد الأول تقريبًا كما تعرفه الجماعة الشعبية فى شما ومحيطها – وكما يرويه العجائز وخبراء الحروب القديمة – وهو عركة المياه ١٩٦٥.

الحدث الثاني، يورده الكاتب مع تغيير فى الأسماء؛ فهو مستند إلى صعود "جمهورية أبوحريرة" تاجر المخدرات وأولاده فى قرية شما، وسيطرتها على القرية بما فيها، بمساعدة النظام المصرى قبل ثورة يناير، وبعد الثورة لم يتحمل شباب القرية ما تحمله آباؤهم؛ فقاموا بمهاجمة قصور المجرمين ومعاقلهم، وتدخلت الشرطة فهرب تجار المخدرات فى حراستها، ومن قبض عليهم تم الإفراج عنه بحكم قضائي؛ ليقوم يوم بتفريغ أربع ذخائر بندقية آلية فى الشاب المصرى الذى قاد الثوار، وما تزال القضية تؤجل..

ما يسرده موسى هنا من حكايات تفوق الخيال هى وقائع شديدة التحديد، يعرفها الجميع، لكن القضاء – الذى يطمئن بما يصل إليه من أدلة وبراهين – يجد أمامه محاضر وتحريات ومحامون يحصلون على الملايين؛ لذلك فقبل نطقه بالحكم، تمر الحاجة "رئيفة" وهى توزع ألف جنيه على كل من يقابلها، حلاوة الإفراج المنتظر، ويقف حفيد أبى حريرة أمام الضابط الذى قبض عليه مهددًا ومتوعدًا بالخروج، ولا يفكر الضابط فى الرد لأن القانون يحمى أبا حريرة – القانون الخفي، وهو مزيج من الأوليجاركية والثيوقراطية وكل ما هو ما هو مشوه – يعرف أنه يستطيع بقلب بارد أن يضغط الزناد ليقتل شابا فى مظاهرة، فيما يردد خلفه جمهوره – جدع يا باشا جبته فى عينه – لكنه يعرف أن هذا المحبوس مؤقتًا لديه عصبته وتحالفاته.

الحدث الثالث، حدث مفترض، يشبه ما جرى لأطلانطا الغارقة، أو إرم ذات العماد، أو المدن المسحورة، وهو حدث يفترضه الناص، ويشكله ويبنى عليه لحمة سدى نصه. اختفاء لمنطقة بأهلها دون نقطة دم، ودون أثر لقتيل.

الحدث الرابع هو الثورة وخروج الناس؛ لتطيح بالنظام القديم: تتنزع عائلة أبى النمرس من مخبئها، و ذبح الميرزا الدجال بعد محاكمته، وهى تصرخ: الشعب يريد إسقاط النظام

خضع إيراد الحدث لترتيب غير واقعي؛ فالروائى يبدأ بالثالث، مع ظهور الثانى من خلال أبطاله فى خلفية المشهد، فحتى ترابيزة اجتماع الشرطة: "مجلس إدارة العالم" تخص فُساد الحدث الثاني، ثم يظهر الأول :"عركة المياه" ممهدًا للرابع، بشكل خفي؛ فكما ضج الناس من التجاهل فقاموا بقطع المياه، ف(سيخرجون) للثورة بعد حين، لكن هذه المرة بوعى أكثر، وأهداف أدق، مع تمييزهم الواضح، للعدو من الحبيب من المخطئ من المقصر، وتختفى هنا "الحدية الرومانسية القامة على اتباع الخطاب السلفى (بالمعنى الثقافي) فلا ليل فى مواجهة نهار، ولكل منهم ملوكه وحرسه المكلفون المعصومون، بل العصمة للشعب ولغضبه النبيل.

لماذا لجأ الروائى لجعل الثورة تأتى بعد الهجوم على أولاد أبى النمرس، رغم أنها جرت قبلها؟ ألان البعض سيرون فى ما جرى أول مرة لأولاد "أبو النمرس" انقسم شطرين؛ الأول هجوم الشرطة عليهم لأنهم حرقوا قرية تقريبًا متخطين الخط الأحمر، والشطر الثانى هو قيام الأهالى بالهجوم على هذه العائلة – التى عادت ببطشها لتحتل شارع السوق فى مدينة أشمون بداية أبريل ٢٠١٧، بعد انتصارها على العائلة التى تفرض إتاوة على البائعين الجوالين – ؟ ربما..

ألانه يعتقد – كما يعتقد كاتب هذه السطور – أن الثورة قادمة؟

(٤)

يقسم النص إلى اثنين وثلاثين فصلا، دون عناوين، ويبدو البحث عن دلالة لهذا الرقم

قرية شما حيث دارت أحداث الرواية

جانب من مظاهرات اهالي شما يطالبون بالقصاص

انتفاضة شعبية في قرية شما ضد عائلة «أبو حريرة»

تعسفًا – إن افترض أنه الأصوب – ماذا لو عزلنا الفصل الأخير وحده.. لماذا؟

الفصل الأخير، يأخذ لغة دينية هى مزيج من سفر التكوين، مع تفكيك ظاهر السياق عبر دلالة كلماته؛ فالقول من بشرى وليس من إله، والقول يطلب مواجهة غيب بواقع، والقول ينتج دلالة مغايرة للمهدي؛ فكل شخص عرف أنه هو المهدي، وكلهم عرفوا عدوهم، وأسقطوا من حساباتهم الشرطة.

يتبقى لدينا واحد وثلاثون فصلا، ولو مددنا الخط على استقامته لوجدنا أننا أمام شهر طويل؛ فأقل عدد أيام هو ثمانية وعشرون يومًا – ناهيك عن مسرى – وأقصاه واحد وثلاثون، كما تقول المروية فإن الله خلق الدنيا فى ستة أيام، وجعل للإنسان اليوم السابع؛ ليحاسبه فى اليوم الآخر، فإن الشعب يصبر على النظام شهرا (كبيسًا) ويمحوه فى يوم، حين يخرج المهدى المستتر فى أعماقه: "ليملأ الدنيا عدلا، بعد أن ملئت جورًا" إنها الثورة: "اللهم ابتدئ التخريب الآن| فلإن خرابًا بالحق| بناء بالحق (مظفر النواب)

(٥)

يمكن تقسيم الشخصية بعدة اعتبارات، التسمية فى مواجهة اللقب، أقارب الكاتب، وغيرهم.. لكن ثمة جوامع تجعل كل تقسيم قاصر بشكل، ففى الأقارب مثلا، يكتفى بالدرجة حينًا، ثم يذهب إلى الاسم وربما إلى اللقب، وفى شخصيات القرية يمزج بين الاسم "إبراهيم" واللقب "العمدة – الميرزا"، لكنه – بمكر – حين يتحدث عن الشرطة فإنه يسميهم بحسب ما على أكتافهم من رتب، وما فى أيديهم من صلاحيات وتفويضات.. إن لجوء الروائى لتجريد شخصية من اسمها، لصالح علامة زائلة يضعنا أمام تشيئ للإنسان، وتحويله إلى آلة أو بالأحرى ترتبط قدرتها بما على كتفها – بالطبع قد يكون هذا رأيى ولا علاقة للمؤلف به – فلماذا اختار مثلا:

السني، وإبراهيم وعمي، والميرزا، ونونو، و"ذو السيفين"؟

إن للأول دلالة ترتبط بالتدين (وهو محفظ قرآن). وإبراهيم (هو الولى الطاهر ذو العِلم اللدنى القائم على تكسير أصنام المهدي. وبيَنه وبين إبراهيم النبى روابط يلمحها القارئ بسهولة). و"عمي" لأن طبيعة القرى تسقط أسماء الأقارب، وربما عاش الابن دون أن ينطق باسم أبيه أو بأمه، ولا يذكر الأب مصحوبًا بلقب إلا إن كان الشخص يتحدث عن عمه – وعلى هذا استند مفسرون حين نفوا أن يكون أبا إبراهيم عليه السلام هو صانع الأصنام، لأنه قال "لأبيه آزر" – ولا يذكر العم متلوا باسم إلا إن كان له إخوة. (الميرزا: "لقب يرتبط بالسحرة والجن، ولا يعرف القرويون إلا أنه علم على الدجال العتويل). (ذو السيفين، نحن أمام كيان دخيل بكامله، لذلك يلجأ الكاتب إلى هذه الطريقة لتسهل له ترتيب هؤلاء الدخلاء الطارئين، مع الاحتفاظ بمسافة بين أهل القرية الذين يصيرون شعبًا فى النهاية، والدخلاء الذين يصبحون "الشرطة" التى فقدت جدواها "الإرهاب")

(٦)

يميل الكاتب إلى استخدام لغة الفصحى القريبة من لغة الصحافة والشارع، الاحتفاظ الذكى بالكلمات الكبرى التى يستخدمها فى بعض الأحايين العامة والشرطيون والشيوخ والمجاذيب.

جاءت صيغة الراوى المشارك؛ لتجعل لغة النص سائلة بلا حد، فلا فرق بين السرد والحوار، كما سمحت للروائى أن يستخدم تعبيرات تنتمى للواقعية السحرية أو للوهم؛ فهو يقول إنه بعد خدعة المهدى صار يسير فى دقيقتين ما كان يسيره فى عشر دقائق، وهذا من كرامات الانبياء والأولياء وأهل الخطوة: ريح سليمان، سير المسيح على الماء، براق محمد، انتقال الولي. كما يمكن فهمه فى إطار مختلف، وهو أن البطل ينقل تصوراته وأوهامه – صدق نفسه كما تقول

الجماعة الشعبية – .لجأ الكاتب للسرد الشعري، عبر إعادة ترتيب الأحداث الكبرى، وعبر تقطيع جزئى للأحداث التى دارت غالبا بين ثلاثة أماكن، شقة الصحفى القاهرية، مكتب الصحيفة التى يعمل بها، وعدة أزمنة، مفتتحها التمهيدى عند بدء كتابة الرواية – النص عبارة عن رواية صحفى يكتب رواية عن قريته – والأساسى هو عودته وابتلاع الأرض – ويستطيع ربط الأمكنة والأزمنة عبر "تضفيرة" محكمة،، تجعل حضور بقية الأطراف – رغم غيابه عنها – ممكنا ومقبولا رغم هيمنة مكان السرد الآني.

التناص أحد التقنيات المهيمنة على الرواية، ورغم أن القارئ يحتاج إلى جهد فى تفكيكه معرفة أصوله – وهذا ما قد يدفع البعض إلى اتهام الرواية بالغموض – فإن أى رجل عامى سيستمع للنص لن يجد صعوبة فى فهم المراد؛ هذا التداخل موجود على أرض الواقع يعايشه القروى وينطقه وكأنه يتحدث عن (زرعته).

التداخل الذى ورثه الفلاح المصرى وارث اسم قريته الفرعونية أو اليونانية، وأدوات فلاحته الجامعة بين مختلف العصور، يتسرب مثلها فى معتقده الدينى الذى يتشرب المتناقضات ويخرجها نسيجًا واحدًا، ولما كانت حياته كتلة واحدة – فكأننا أمام أوان مستطرقة – وهذا ما تجده فى النص؛ فالحضور الدينى والثقافى والبوليسى والصحفى موجود متجاور دون تعقيد على القارئ

إعادة الحكاية، ربما تكون هذه هى المرة الأولى التى يلجأ فيها موسى لهذه التقنية؛ فهو يحكى القصة مرة، ثم بعد ذلك يعيد حكايتها بمحتوى مختلف يصل حد التناقض، مثلا لماذا ترك أبوه بيت العائلة؟

(٧)

تستحق السخرية التى كتب بها النص، بابا خاصًا؛ إذ السخرية أرقى أنواع الكتابة؛ فسرفانتس جعلنا نضحك ضحكا نبيلا مطهِرًا، ولعل ندرة الملهاة فى الأدب العالمي، مع بقائها دليل على ذلك؛ وما يقوله سليمان العطار عن تعلم ماركيز السخرية فى عشرين عامًا.

إن السخرية فى الحياة أو فى الفن نوع من امتهان السلطة الغاشمة العمياء، نوع من انتقاد عماء البصيرة، وضيق النظر، منذ بدأ المصريون القدماء فى الرسم الكاريكاتيرى على "الأوستراكا" ومرورا بشعوب العالم وأيامه.

ومنذ البداية يسخر الروائى من المذيعة وسبب اختيارها، وضعف إعدادها، وكأن المؤلف يرمى منذ الضربة الأولى مسمار نعش النظام القديم الذى انتهى نصه بـ: "الشعب يريد إسقاط النظام"

ما إن تتابع أماكن سخرية الناص الكبرى حتى ترى أنه يعد نعشا محكمًا لنظام ميت بالفعل.. كيف: سوء الاختيار، واستبعاد الكفاءات، والضغط على جهات غير معنية وغير مختصة بمهام معقدة دون أى بيانات حقيقية، مع صلاحيات لا حدود لها.

تهاجم قرية بالمدرعات لأنها تريد رى عدة أفدنة معتمدًا على خبر لدقيقة فى إذاعة صهيونية، وبدلا من طلب تقرير لن يكلف إلا نزول مشرف ري، تنزل كتائب مدرعة.. لكن الشعب يلجأ للحل الخرافى الذى ينجح.. تحمل سيدة عضو مجلس قيادة ثورة آخر، وتقف به أمام المدرعة، وتتوقف الرتبة الأقل للرتبة الأخطر، وبعد مكالمة صغيرة يعود الجند، وبعد أقل من عامين تحدث النكسة.

تستشرى أسرة تاجر المخدرات وتتوغل، حتى ليصل بها الأمر لوضع يده على عشرات الافدنة بالقوة، والتدخل فى تعيين ضباط نقلهم، وفى الإتيان بعضو مجلس شعب وإزاحته، بل حينما يشكو أحد سكان القرية هذه العصابة لأعلى جهات الدولة، تقوم العصابة بصلبه أمام القرية وينزل رئيسها ومعه الشكوى، وبعد أن يقرأها يبصق على الرجل وهو يقول له: عندما تحب أن تشكوني، فتعال لي.. مع هذا لا تتحرك الحكومة إلا حين تحدث حرب أهلية بين قريتين، لكنها كالعادة تختار كل شيء لا يصلح؛ فتزداد البلوة.

ومع الاختفاء المفاجئ تأتى قوات الشرطة – كالعادة –وحين تتخبط فإنها تلجأ للممر الآمن، تجار المخدرات، والدجال، وبقية العائلة، ويتم اعتماد "كذبة" وجود سرداب وجن وعفاريت لإخفاء الضابط الذى اقترب من الحقيقة..

هذا العبث لا يجابه إلا بالسخرية والامتهان، وبلجوء الناس للخرافات والأساطير والتطرف.. يحاول الناص كثيرًا إخفاء رسالته الموضوعية تماما، وحين يختار القناع الساخر للإمعان فى التخفي، يظهر الأمر جليًا: نحن أمام نظام ميت لأنه لا يرى أننا مشكلات يمكن عرضها على جهات علمية متخصصة.. بل أمام خطر داهم فى لحظة حرجة أثناء وجودنا داخل عنق الزجاجية.. ولا علاج لهذا الخطر الكونى إلا بكتائب ودبابات.. لماذا خلق الله الكيمياء إذن؟ – لتتحول إلى طريقة لدمج الأدوية لتعطى أثرًا مخدرا مضاعفًا – لماذا خلق الله الطب والفن والأدب؟ الرسالة واضحة لكن فى بلادى من يقرأ ليس مسؤولا.. والمسؤول لا يقرأ.. بل ينتظر: "كله تمام".. "تمام يا أفندم" لذلك فلنأخذ بحقنا سخرية فى انتظار ثورة.

بقلم: أحمد سراج

المشهد
العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

قالت العرب

وحينَ سألتُ مَن عرفوكَ قالوا / هواءٌ أنتَ يا هذا هواءُ / ولكنْ لم أُصدِّقهم فلمّا /
حككتُ القشرةَ انكشفَ الغطاءُ / سوى اللاشيءِ لم أرَ فيكَ شيئاً / وينفخكَ الغُرورُ
والادِّعاءُ / رويدكَ وانكمشْ بعضَ انكماشٍ / فإنَّ تضخّمَ الذّاتِ ابتلاءُ

فدوى طوقان (1917 – 2003)

كأس العالم 2026.. العرب بين الطموح والواقع فى الجولة الأولى

مع انطلاق بطولة كأس العالم ٢٠٢٦ فى الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، دخلت الكرة العربية مرحلة جديدة من تاريخها الكروي، مع مشاركة قياسية بلغت ثمانية منتخبات عربية دفعة واحدة فى نسخة واحدة من المونديال، وهو رقم غير مسبوق يعكس التطور الكبير فى مستوى المنتخبات العربية خلال السنوات الأخيرة.

ومع نهاية الجولة الأولى من دور المجموعات، ظهرت ملامح أولية لمستوى المنتخبات العربية، بين من نجح فى فرض شخصيته على المنافسين، ومن واجه صعوبات أمام مدارس كروية أكثر خبرة وتنظيمًا، فى نسخة توصف بأنها الأوسع والأكثر تنافسية فى تاريخ كأس العالم.

مشاركة عربية تاريخية فى مونديال ٢٠٢٦

تشهد النسخة الحالية من كأس العالم حضورًا عربيًا غير مسبوق يتمثل في: مصر، المغرب، السعودية، تونس، الجزائر، قطر، العراق، والأردن.

وجاءت هذه المشاركة الواسعة بعد قرار الاتحاد الدولى لكرة القدم زيادة عدد المنتخبات إلى ٤٨ فريقًا، ما فتح الباب أمام قارات أفريقيا وآسيا والعالم العربى للحصول على تمثيل أكبر فى البطولة.

لكن هذا التوسع لم يكن مجرد فرصة إضافية، بل حمل معه تحديات كبيرة فى ظل ارتفاع مستوى المنافسة، وتواجد منتخبات أوروبية وأمريكية جنوبية فى قمة جاهزيتها، ما جعل كل مباراة بمثابة اختبار حقيقى لقدرة المنتخبات العربية على مجاراة النسق العالمي.

مصر.. بداية متزنة أمام قوة أوروبية كبيرة

استهل المنتخب المصرى مشواره بتعادل إيجابى أمام بلجيكا بنتيجة ١-١، فى مباراة أظهر خلالها الفراعنة شخصية قوية وتنظيمًا دفاعيًا محكمًا أمام أحد أقوى المنتخبات فى العالم.

واعتمد المنتخب المصرى على خطة دفاعية مرنة مع التحول السريع فى الهجمات المرتدة، مستفيدًا من سرعة محمد صلاح وقدرته على خلق المساحات.

ورغم أن التعادل نتيجة إيجابية على الورق، فإن الجهاز الفنى يرى أن الفريق كان قادرًا على تحقيق الفوز فى بعض فترات اللقاء، وهو ما يضعه أمام ضرورة تحسين استغلال الفرص فى المباريات القادمة.

وتبقى مواجهة نيوزيلندا فى الجولة الثانية محطة حاسمة فى تحديد شكل المجموعة، وفرصة مهمة لتعزيز حظوظ التأهل.

المغرب.. استمرار التألق العالمي

واصل المنتخب المغربى تقديم صورة مشرفة للكرة العربية، بعدما استهل مشواره بتعادل قوى أمام البرازيل ١-١، ثم حقق فوزًا مهمًا على اسكتلندا بهدف دون رد.

وأظهر "أسود الأطلس" نضجًا تكتيكيًا كبيرًا، خاصة فى التعامل مع الضغط العالى من المنتخبات الكبرى، إلى جانب القدرة على التحول السريع من الدفاع إلى الهجوم.

ويبدو أن المغرب يدخل هذه النسخة بثقة كبيرة بعد الإنجاز التاريخى فى مونديال ٢٠٢٢، ليؤكد أنه أحد أبرز المنتخبات القادرة على المنافسة فى هذه النسخة.

السعودية.. توازن دفاعى يحتاج إلى حلول هجومية

نجح المنتخب السعودى فى تقديم بداية جيدة نسبيًا بالتعادل أمام أوروجواى ١-١، فى مباراة اتسمت بالانضباط التكتيكى والالتزام الدفاعي.

لكن فى المقابل، ما زال الأخضر يعانى من غياب الفاعلية الهجومية فى الثلث الأخير من الملعب، وهو ما قد يمثل تحديًا فى مواجهات أكثر صعوبة أمام منتخبات قوية هجوميًا.

ويرى الجهاز الفنى أن الحفاظ على التوازن سيكون مفتاح الاستمرار فى المنافسة داخل مجموعة قوية ومتقاربة المستوى.

تونس.. صدمة البداية الثقيلة

تعرض المنتخب التونسى لخسارة قاسية أمام السويد بنتيجة ٥-١، فى مباراة كشفت عن مشاكل دفاعية واضحة أمام الضغط السريع والتنظيم الهجومى للمنافس.

ورغم بعض المحاولات للعودة فى اللقاء، فإن الفوارق البدنية والتكتيكية كانت حاسمة، وهو ما وضع المنتخب أمام ضرورة إعادة ترتيب أوراقه سريعًا، خاصة فى خطى الوسط والدفاع، من أجل الحفاظ على حظوظه فى المنافسة.

الجزائر.. اختبار صعب أمام بطل العالم

خسر المنتخب الجزائرى أمام الأرجنتين بثلاثية نظيفة، فى مباراة أظهرت الفوارق الكبيرة فى الخبرة والجاهزية بين المنتخبين.

ورغم بعض المحاولات الهجومية، فإن الفاعلية أمام المرمى كانت غائبة بشكل واضح، وهو ما كلف الجزائر بداية صعبة تحتاج إلى رد فعل قوى فى الجولات المقبلة.

قطر.. بداية متناقضة بين الأمل والانهيار

قدمت قطر أداءً متباينًا فى الجولة الأولى، حيث بدأت بتعادل إيجابى أمام سويسرا ١-١، قبل أن تتلقى خسارة ثقيلة أمام كندا بنتيجة ٦-٠.

هذا التناقض يعكس مشكلة واضحة فى الثبات الذهنى والصلابة الدفاعية، وهو ما يتطلب تدخلا سريعًا لتصحيح المسار قبل فوات الأوان.

العراق.. تجربة صعبة أمام القوة الأوروبية

خسر المنتخب العراقى أمام النرويج بنتيجة ٤-١، فى مباراة حاول فيها "أسود الرافدين" مجاراة الإيقاع السريع، لكن الفارق البدنى والخبرة كان واضحًا.

ورغم النتيجة، قدم العراق بعض اللحظات الإيجابية، خاصة فى الشوط الأول، ما يمنح الفريق بعض الأمل فى المباريات المقبلة.

الأردن.. مشاركة تاريخية وبداية مشرفة

بدأ المنتخب الأردنى مشاركته الأولى فى كأس العالم بخسارة أمام النمسا ٣-١، لكنه قدم أداءً قتاليًا ونجح فى تسجيل هدف تاريخى فى ظهوره المونديالى الأول.

وتعد هذه المشاركة خطوة مهمة فى تاريخ الكرة الأردنية، بغض النظر عن النتائج، حيث يكتسب الفريق خبرة كبيرة من مواجهة منتخبات عالمية.

حضور جماهيرى عربى يصنع المشهد خارج الملعب

لم تعد مشاركة المنتخبات العربية فى كأس العالم مقتصرة على المستطيل الأخضر فقط، بل امتدت لتصنع مشهدًا موازيًا فى المدرجات وشوارع المدن المستضيفة، حيث برز الحضور الجماهيرى العربى كأحد أبرز ملامح النسخة الحالية من البطولة.

وشهدت المدن الأمريكية والكندية والمكسيكية تجمعات ضخمة للجماهير المصرية والمغربية والسعودية على وجه الخصوص، حيث تحولت الشوارع إلى ما يشبه الاحتفالات الشعبية الممتدة، التى امتزج فيها الغناء والهتاف بالأعلام الوطنية، فى مشهد يعكس عمق الارتباط بين الجماهير العربية ومنتخباتها.

ولم يقتصر الأمر على التشجيع داخل الملاعب، بل ظهرت "المسيرات الجماهيرية" كظاهرة لافتة، حيث تحركت جماهير بأعداد كبيرة فى مواكب منظمة قبل المباريات، خاصة فى المدن التى لعبت فيها المنتخبات العربية، لتتحول هذه المسيرات إلى حدث إعلامى تتابعه القنوات العالمية ووسائل التواصل الاجتماعى على نطاق واسع.

كما لعبت الجاليات العربية المقيمة فى أمريكا الشمالية دورًا محوريًا فى دعم المنتخبات، من خلال تنظيم فعاليات جماهيرية فى مناطق المشجعين الرسمية، ما أضفى طابعًا احتفاليًا ضخمًا على البطولة، وجعل الحضور العربى واحدًا من أكثر العناصر لفتًا للانتباه فى مونديال ٢٠٢٦.

هذا الحضور الجماهيرى لم يكن مجرد دعم معنوي، بل تحول إلى عنصر ضغط إيجابى على المنافسين، خاصة فى المباريات التى شهدت كثافة عربية كبيرة داخل المدرجات، حيث بدا تأثير الجماهير واضحًا فى رفع روح اللاعبين داخل الملعب، وهو ما أعطى البطولة بُعدًا إنسانيًا وثقافيًا يتجاوز حدود كرة القدم.

ملامح فنية من الجولة الأولى

كشفت الجولة الأولى عن عدة ملاحظات فنية مهمة على مستوى المنتخبات العربية، حيث ظهر تفوق نسبى فى التنظيم الدفاعى لدى منتخبات مصر والمغرب والسعودية، وهو ما ساعدها على الخروج بنتائج إيجابية أمام مدارس كروية قوية. فى المقابل، عانت منتخبات تونس والجزائر والعراق من مشاكل واضحة سواء على المستوى الدفاعى أو فى الفاعلية الهجومية، ما انعكس بشكل مباشر على نتائجها فى المباريات الافتتاحية. كما سجلت المشاركة العربية الأولى للأردن وقطر حضورًا لافتًا من حيث التجربة والخبرة المكتسبة رغم اختلاف النتائج، فى وقت أظهرت فيه البطولة بشكل عام ارتفاعًا غير مسبوق فى مستوى المنافسة وتقاربًا كبيرًا بين المنتخبات، الأمر الذى جعل التفاصيل الصغيرة هى العامل الحاسم فى تحديد النتائج.

الجولة الثانية.. اختبار حقيقي

تدخل المنتخبات العربية الجولة الثانية من دور المجموعات وهى تدرك أن هذه المرحلة قد تكون حاسمة فى رسم ملامح التأهل، حيث يسعى المنتخب المصرى إلى استغلال بدايته الإيجابية من أجل تعزيز موقعه فى صدارة المجموعة وحسم بطاقة العبور مبكرًا، بينما يواصل المنتخب المغربى البحث عن الحفاظ على الزخم الفنى والمعنوى الذى ظهر به فى الجولة الأولى من أجل تثبيت أقدامه فى المنافسة. وفى المقابل، يواجه المنتخب السعودى اختبارًا مهمًا يتطلب تحقيق نتيجة إيجابية تعزز حظوظه فى المجموعة، بينما يدخل المنتخب التونسى مواجهة لا تقبل القسمة على اثنين فى ظل حاجته للعودة سريعًا إلى سباق المنافسة. أما الجزائر والعراق فهما أمام تحديات صعبة أمام منتخبات قوية، فى حين يحاول كل من الأردن وقطر إثبات الذات وتحقيق نتائج إيجابية تعكس حجم التطور الذى وصلت إليه الكرة العربية فى السنوات الأخيرة.

المونديال الحقيقى يبدأ الآن

رغم تفاوت النتائج فى الجولة الأولى، فإن المنتخبات العربية قدمت حضورًا لافتًا فى نسخة تاريخية من كأس العالم ٢٠٢٦، التى تشهد توسعًا كبيرًا فى عدد المنتخبات وارتفاعًا فى مستوى المنافسة.

ومع دخول البطولة مراحلها الأكثر حساسية، تبقى آمال المنتخبات العربية قائمة فى تحقيق نتائج إيجابية، خاصة فى ظل تقارب المستويات وتغير موازين القوى من مباراة إلى أخرى، ما يجعل مونديال ٢٠٢٦ أحد أكثر النسخ إثارة فى تاريخ البطولة.

تقرير – مصطفى مجدي

هل تُصلح الرياضة ما أفسدته السياسة؟..

مونديال 2026 بين رهانات الدبلوماسية وتعقيدات الصراعات الدولية

لم تعد الرياضة فى العصر الحديث مجرد منافسات تُحسم نتائجها داخل المستطيل الأخضر أو على مضامير السباق، بل تحولت إلى قوة ناعمة مؤثرة تمتد آثارها إلى السياسة والاقتصاد والعلاقات الدولية. ومع تنامى حجم الاستثمارات الرياضية وارتفاع القيمة الاقتصادية للبطولات الكبرى إلى مليارات الدولارات، أصبحت الأحداث الرياضية العالمية جزءًا من المشهد السياسى الدولي، تتأثر به وتؤثر فيه فى الوقت ذاته.

ومع انطلاق كأس العالم ٢٠٢٦، الذى تستضيفه الولايات المتحدة وكندا والمكسيك فى نسخة تاريخية تشهد مشاركة ٤٨ منتخبًا للمرة الأولى، تعود تساؤلات قديمة إلى الواجهة: هل تستطيع الرياضة أن تكون جسراً للحوار بين الدول المتخاصمة؟ وهل يمكن لكرة القدم أن تخفف من حدة التوترات السياسية فى عالم يشهد أزمات متلاحقة؟ والأهم، هل تدفع الرغبة الأمريكية فى تنظيم نسخة ناجحة من المونديال إلى الحرص على تهدئة الأجواء الدولية، خاصة مع مشاركة إيران وسط حالة من التوتر السياسى المستمر بين البلدين؟

هذه الأسئلة تتجاوز الإطار الرياضى التقليدي، لتضع مونديال ٢٠٢٦ فى قلب نقاش أوسع يتعلق بدور الرياضة فى عالم مضطرب سياسياً وأمنياً.

كأس العالم.. بطولة تتجاوز حدود الرياضة

رغم تمسك الاتحاد الدولى لكرة القدم "فيفا" بمبدأ فصل الرياضة عن السياسة، فإن الواقع يؤكد أن كأس العالم كان دائماً أكثر من مجرد بطولة رياضية.

فالمونديال يعد الحدث الرياضى الأكثر متابعة على مستوى العالم، ويمنح الدول المستضيفة فرصة نادرة للترويج لصورتها أمام مليارات المشاهدين. ولهذا السبب تنظر الحكومات إلى استضافة البطولة باعتبارها فرصة استراتيجية لتعزيز النفوذ السياسى والاقتصادى والثقافي، إلى جانب تحقيق مكاسب مالية وسياحية ضخمة.

وعلى مدار العقود الماضية، تحولت العديد من البطولات الرياضية الكبرى إلى أدوات للقوة الناعمة، حيث استغلتها الدول لإظهار قدراتها التنظيمية وتقديم رسائل سياسية غير مباشرة إلى المجتمع الدولي.

وبالنسبة للولايات المتحدة، فإن استضافة مونديال ٢٠٢٦ تمثل فرصة مهمة لإبراز مكانتها العالمية، خصوصاً فى ظل التحديات الجيوسياسية المتزايدة التى تواجهها على أكثر من جبهة.

الرياضة كجسر دبلوماسي

لطالما استخدمت الرياضة كوسيلة لتقريب وجهات النظر بين الدول والشعوب.

وأشهر الأمثلة على ذلك ما عُرف بـ"دبلوماسية كرة الطاولة" فى سبعينيات القرن الماضي، عندما ساهمت المباريات التى جمعت لاعبين من الولايات المتحدة والصين فى فتح قنوات تواصل بين البلدين بعد سنوات طويلة من القطيعة السياسية، وهى الخطوة التى مهدت لاحقاً لتحسن العلاقات بين واشنطن وبكين.

كما شهدت الساحة الرياضية العديد من المبادرات التى استهدفت استخدام المنافسات الرياضية كمنصات للحوار والتقارب بين الشعوب، انطلاقاً من فكرة أن الرياضة تمتلك لغة عالمية يفهمها الجميع، بغض النظر عن الانتماءات السياسية أو الثقافية.

وعندما يجتمع مشجعون من دول متنافسة سياسياً فى مدرج واحد، أو يتبادل اللاعبون التحية والقمصان بعد نهاية المباريات، فإن هذه المشاهد تحمل رسائل رمزية تتجاوز حدود الرياضة نفسها، وتؤكد إمكانية التواصل رغم الخلافات.

الفيفا يبحث عن بطولة بعيدة عن الأزمات

رغم تأكيد الاتحاد الدولى لكرة القدم "فيفا" بشكل مستمر على أن كرة القدم يجب أن تبقى بعيدة عن الصراعات السياسية، فإن القائمين على اللعبة يدركون جيداً أن الأحداث الدولية الكبرى قد تلقى بظلالها على أى بطولة عالمية. ومع اقتراب كأس العالم ٢٠٢٦، تزداد المخاوف داخل أروقة الفيفا من تأثير التوترات الجيوسياسية على سير البطولة، خاصة فى ظل مشاركة منتخبات تنتمى إلى دول تشهد علاقات متوترة أو نزاعات سياسية مع أطراف أخرى على الساحة الدولية.

وتتعلق هذه المخاوف بعدة جوانب، أبرزها سهولة تنقل الجماهير والبعثات الرسمية بين الدول المستضيفة، وإجراءات التأشيرات، والقدرة على توفير بيئة آمنة لجميع المنتخبات المشاركة دون استثناء. كما يخشى الفيفا من أن تؤدى أى تطورات سياسية أو عسكرية مفاجئة إلى فرض قيود على السفر أو إثارة توترات بين الجماهير داخل الملاعب وخارجها، وهو ما قد يؤثر على الصورة العالمية للبطولة.

كما يضع الاتحاد الدولى فى اعتباره أن كأس العالم ٢٠٢٦ سيكون الأكبر فى تاريخ المسابقة من حيث عدد المنتخبات والمباريات والجماهير، ما يزيد من حجم التحديات التنظيمية والأمنية. ولذلك يحرص الفيفا على التنسيق المستمر مع الدول المستضيفة والجهات الأمنية والدبلوماسية لضمان إقامة البطولة فى أجواء مستقرة، بعيداً عن أى تداعيات سياسية قد تهدد نجاح الحدث الذى ينتظره مليارات المشجعين حول العالم.

سوابق تاريخية.. عندما فتحت الرياضة أبواب السياسة

التاريخ الرياضى حافل بأمثلة تثبت أن الرياضة كانت أحياناً بوابة لتخفيف التوترات السياسية، وإن لم تكن قادرة بمفردها على حل الأزمات.

ففى دورة الألعاب الأولمبية الشتوية عام ٢٠١٨ فى كوريا الجنوبية، شهد العالم مشهداً لافتاً عندما شاركت كوريا الشمالية وكوريا الجنوبية تحت علم موحد فى حفل الافتتاح، كما شكلتا فريقاً موحداً فى منافسات هوكى الجليد للسيدات. ورغم استمرار الخلافات السياسية بين البلدين، فإن هذه الخطوة ساهمت فى فتح قنوات حوار جديدة وخفض مستوى التوتر فى تلك الفترة.

وفى كأس العالم ١٩٩٨ بفرنسا، اكتسبت المواجهة بين الولايات المتحدة وإيران أبعاداً سياسية كبيرة بسبب العلاقات المتوترة بين البلدين. ومع ذلك، قدم اللاعبون صورة مختلفة عندما تبادلوا الهدايا والورود والتقطوا صورة جماعية قبل انطلاق المباراة، فى مشهد اعتبره كثيرون رسالة سلام تتجاوز الخلافات السياسية.

كما لعبت الرياضة دورا مهماً فى جنوب أفريقيا خلال مرحلة ما بعد نظام الفصل العنصري، حيث ساهمت بطولة كأس العالم للرجبى عام ١٩٩٥ فى تعزيز المصالحة الوطنية، وأصبحت رمزاً لوحدة المجتمع بعد سنوات طويلة من الانقسام.

ورغم أن هذه الأمثلة لم تؤد إلى إنهاء الصراعات بشكل كامل، فإنها أثبتت قدرة الرياضة على خلق مناخ أكثر إيجابية للحوار والتقارب.

الوجه الآخر للرياضة

فى المقابل، لا يمكن تجاهل أن الرياضة لم تنجح دائماً فى أداء هذا الدور.

فالعالم شهد العديد من البطولات التى تأثرت بالصراعات السياسية، كما تعرضت بعض الدورات الأولمبية والمنافسات الدولية لمقاطعات سياسية متبادلة، خاصة خلال فترة الحرب الباردة.كما أن الحروب والنزاعات المسلحة استمرت فى كثير من الأحيان رغم إقامة الأحداث الرياضية الكبرى، وهو ما يدفع بعض المحللين إلى التشكيك فى قدرة الرياضة على إحداث تغييرات سياسية حقيقية.

فالأزمات الدولية غالباً ما تكون مرتبطة بحسابات أمنية واستراتيجية واقتصادية معقدة، تتجاوز بكثير حدود التأثير الذى يمكن أن تمارسه بطولة رياضية مهما بلغت أهميتها.

مونديال ٢٠٢٦ فى عالم مشتعل

يأتى كأس العالم ٢٠٢٦ فى توقيت يشهد حالة من التوتر فى أكثر من منطقة حول العالم.

فالصراعات المسلحة لا تزال مستمرة، والخلافات بين القوى الكبرى تزداد تعقيداً، فيما تفرض الأزمات الإقليمية نفسها على المشهد الدولى بصورة متكررة.

وفى منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، تبقى العلاقات الأمريكية الإيرانية واحدة من أكثر الملفات حساسية، وهو ما يضفى أبعاداً سياسية إضافية على البطولة المقبلة.

ولهذا تبدو مهمة تنظيم حدث عالمى بهذا الحجم أكثر تعقيداً من أى وقت مضى، خاصة مع توقع حضور ملايين المشجعين من مختلف دول العالم.

ترامب وبلاتر

وأى تطورات سياسية أو أمنية كبيرة قد تؤثر بشكل مباشر على أجواء البطولة، سواء فيما يتعلق بحركة الجماهير أو الترتيبات الأمنية أو الصورة الإعلامية العامة للحدث.

إيران فى قلب المشهد العالمى

تكتسب مشاركة المنتخب الإيرانى فى كأس العالم المقبل أهمية خاصة، ليس فقط بسبب قيمته الرياضية، وإنما أيضاً بسبب الخلفية السياسية للعلاقات بين طهران وواشنطن.

فعلى الرغم من أن لوائح الفيفا تفرض عدم التمييز بين المنتخبات المشاركة، فإن وجود منتخب إيرانى فى بطولة تستضيفها الولايات المتحدة يطرح تحديات تتعلق بالتأشيرات والإجراءات الأمنية وحركة الجماهير.

كما أن أى تطورات سياسية بين البلدين خلال الفترة التى تسبق البطولة قد تنعكس بشكل أو بآخر على الأجواء المحيطة بمشاركة المنتخب الإيراني.

وفى المقابل، تمثل البطولة فرصة لإظهار قدرة الرياضة على تجاوز الخلافات السياسية، وهو ما يجعل مشاركة إيران واحدة من أكثر الملفات التى ستحظى بمتابعة إعلامية ودبلوماسية واسعة خلال المونديال.

هل يمكن أن يؤثر المونديال على القرارات السياسية؟

يرى كثير من المراقبين أن من الصعب تصور أن دولة بحجم الولايات المتحدة قد تعيد صياغة سياساتها الخارجية أو تنهى نزاعات دولية بسبب بطولة رياضية، مهما بلغت أهميتها.

لكن فى الوقت نفسه، لا يمكن تجاهل أن نجاح كأس العالم يمثل مصلحة أمريكية كبيرة على المستويات السياسية والاقتصادية والإعلامية.

فالولايات المتحدة ستكون تحت أنظار العالم طوال فترة البطولة، وأى توترات أمنية أو أزمات دبلوماسية كبرى قد تؤثر على صورة الحدث وعلى المكاسب المنتظرة منه.

ومن هنا قد يكون من المنطقى أن تسعى مختلف الأطراف إلى تجنب أى تصعيد كبير خلال فترة إقامة المونديال، حفاظاً على استقرار الأجواء وضمان نجاح البطولة.

الاقتصاد.. عامل مؤثر فى معادلة الاستقرار

إلى جانب الاعتبارات السياسية، تلعب المصالح الاقتصادية دوراً مهماً فى هذا الملف.

فكأس العالم ٢٠٢٦ من المتوقع أن يحقق عوائد مالية هائلة للمدن المستضيفة، سواء من خلال السياحة أو النقل أو الإقامة أو الأنشطة التجارية المرتبطة بالبطولة.

كما تنتظر الشركات الراعية والمنظمون تحقيق مكاسب اقتصادية ضخمة، وهو ما يجعل الاستقرار الأمنى والسياسى أحد أهم عوامل نجاح الحدث.

ولذلك فإن أى توترات دولية قد تؤثر على حركة السفر أو تقلل من الإقبال الجماهيرى ستكون مصدر قلق لجميع الأطراف المرتبطة بالبطولة.

كرة القدم ورسالة تتجاوز النتائج

فى النهاية، تبقى كرة القدم أكثر من مجرد لعبة تُحسم بالفوز والخسارة.

فالمونديال يمثل مناسبة نادرة يجتمع خلالها العالم حول حدث واحد، ويتشارك ملايين الأشخاص مشاعر الفرح والحماس والانتماء الرياضي، بعيداً عن الانقسامات السياسية.

وربما تكمن قوة الرياضة الحقيقية فى قدرتها على خلق مساحات مشتركة للحوار والتواصل الإنساني، حتى فى أكثر الأوقات توتراً.

صحيح أن كرة القدم لا تستطيع إنهاء الحروب أو حل الأزمات الدولية المعقدة، لكنها قادرة على تقديم نموذج مختلف للعلاقات بين الشعوب، يقوم على التنافس السلمى والاحترام المتبادل.

ومع انطلاق كأس العالم ٢٠٢٦، سيبقى السؤال مطروحاً: هل تنجح الرياضة فى تقريب المسافات بين الخصوم ولو بشكل مؤقت، أم أن السياسة ستظل اللاعب الأقوى خارج حدود الملعب؟

الإجابة قد لا تظهر فى بيانات الحكومات أو تصريحات المسؤولين، بل ربما تكشفها المدرجات الممتلئة بالمشجعين من مختلف الجنسيات، واللحظات التى تثبت أن ما يجمع البشر أحياناً أكبر بكثير مما يفرقهم.

تقرير – مصطفى مجدي

المشهد

تصدر عن شركة «المشهد» للصحافة والطباعة والنشر« ش.م.م»

مدير التحرير
محمد موسى

الإخراج الصحفى:
هالة سعيد - شيماء جمال

الإدارة والإعلانات والاشتراكات
٤٥ ش عبدالرحيم صبرى. الدقى
ت: ٠١٠١٩٤٤٤٠٠٣ـ ٣٧٧٢٢٠٣٤
فاكس: ٣٧٧٢٢٠٣٤
البريد الإلكترونى
almash_had@yahoo.com
التوزيع والاشتراكات: مؤسسة الأهرام

العدد 354 – السنة الرابعة عشرة - الإثنين 15 يونيو 2026 م - 29 من ذي الحجة 1447 هـ

"لا شيء معى إلا كلمات"

بقلم: د. محمد أشرف الغمراوي

أمشى فى هذا الزمان خفيف اليدين إلا من أوراق أثقلتها سنوات البحث، وخفيف الجيب إلا من كنوز المعرفة التى لا تباع فى الأسواق.

أنظر حولى فأرى الضجيج يعلو، وأرى وجوها صنعتها المصادفة تتصدر المشهد، بينما يقف أهل العلم فى الظل، يحملون مصابيحهم القديمة وينتظرون من يسأل عن الطريق.

لم يكن الرثاء يوما للأشخاص وحدهم، بل قد يكون للمقامات التى تهاوت، وللقيم التى تراجعت، وللأماكن التى خلت من أهلها.

وها أنا أرثى مقام العلم الذى كان إذا تكلم أنصت له الناس، وإذا أشار تبعوه، وإذا اختلفوا جعلوه حكما بينهم. أما اليوم فقد أصبحت الكلمة الرصينة غريبة فى وطن الضجيج، وأصبح العالم كمن ينادى من وراء حجاب، يسمعه القليل ويعرض عنه الكثير. كان أهل العلم يوما زينة المجالس، وعنوان النهضة، وروح الأمم. كانت الرحلات تشد إليهم، والقلوب تتعلق بكلماتهم، والناس يتنافسون فى القرب منهم. كانوا يحملون مشاعل الهداية والمعرفة، فتتسع بهم آفاق الحياة وتستنير بهم العقول.

صارت الشهرة تنال فى لحظات

أما اليوم فقد تبدلت الأحوال، وصارت الشهرة تنال فى لحظات، بينما يقضى العالم عمره كله يجمع العلم حرفا حرفا، ثم لا يكاد يجد من يصغى إليه.

يا لحزن المكتبات الممتلئة بالمعرفة وهى ترى الأعين منصرفة عنها. ويا لحزن الكتب التى سهر أصحابها الليالى فى تأليفها، ثم صارت حبيسة الرفوف، بينما تتصدر المشهد كلمات عابرة لا تعيش أكثر من ساعات. أصبح كثير من أهل العلم غرباء فى أوطانهم، يحملون هموم المعرفة فى زمن لم يعد يصبر على المعرفة، ويقدمون الحقائق فى عصر يفضل الإثارة على الحقيقة.

كم من عالم أفنى شبابه بين الكتب والمراجع، وأرهق عقله بحثا وتدقيقا، ثم وجد نفسه فى آخر الطريق وحيدا إلا من علمه. وكم من باحث قدم عمره قربانا للحقيقة، ثم رأى من لا يملكون من الزاد إلا الكلام السريع يحصدون التصفيق والأضواء. إنها ليست حسرة على مكانة اجتماعية ضائعة، بقدر ما هى حسرة على ميزان اختلت كفتاه، فلم يعد يزن الناس بما يحملون من علم، بل بما يملكون من حضور وضجيج. ومع ذلك، فإن أكثر ما يدعو إلى التأمل هو أن أهل العلم لم يتخلوا عن رسالتهم. لم يتركوا كتبهم، ولم يغلقوا أبواب المعرفة، ولم يساوموا على الحقيقة. بقوا أوفياء للكلمة، مؤمنين بأن ما يزرعونه اليوم قد يثمر غدا، وأن النور مهما خفت لا ينطفئ. يقفون فى مواجهة الجهل بما يملكون، ولا يملكون إلا كلمات. كلمات يراها البعض ضعيفة، لكنها كانت عبر التاريخ أقوى من السيوف، وأبقى من العروش، وأقدر على صناعة المستقبل. إن الأمم لا تخسر حين يفتقر علماؤها إلى المال أو الشهرة، لكنها تخسر حين تفقد القدرة على الإنصات إليهم. وتبدأ رحلة التراجع يوم يصبح صاحب المعرفة غريبا بين قومه، ويصبح صوت الحكمة خافتا وسط صخب لا ينتهي. عندها لا يكون الرثاء لأهل العلم وحدهم، بل لمجتمع بأكمله اختار أن يبتعد عن منابع النور.

لهذا أكتب اليوم، لا رثاء لأشخاص ما زالوا أحياء بيننا، بل رثاء لهيبة كانت تحيط بالعلم، ولمكانة كانت تليق بأهله، ولزمن كانت فيه الكلمة الصادقة تجد من يحفظها ويصونها.

أكتب وقلبى مثقل بهذا السؤال: ماذا يبقى للعالم إذا انصرف الناس عن علمه؟

لا شيء معه إلا كلمات.

لكن التاريخ كله يشهد أن الحضارات بدأت بكلمات، وأن العقول استنارت بكلمات، وأن الإنسان ارتفع فوق جهله بكلمات. وربما كان عزاء أهل العلم أنهم، وإن خفتت أصواتهم اليوم، فإن الكلمة الصادقة لا تموت، وإن تأخر صداها.

فتبقى الكلمات، ويبقى أصحابها شهودا على زمن لم يقدرهم كما ينبغي، ويظل العلم، رغم كل شيء، آخر ما ينجو من خراب الأيام.

ما دام القلب ينبض.. فهناك موعد مع السعادة وإن تأخر

بقلم: سحر الببلاوي

فى طريق عودتى إلى المنزل، وبين وجوه أنهكتها مشاغل الحياة وضجيج المواصلات المعتاد، جلست إلى جوارى سيدة شعرت منذ اللحظة الأولى أن ملامحها مألوفة ، احتجت إلى دقائق حتى استحضرتها من ذاكرة غابت عنها أكثر من أربعين عامًا.

كانت جارتنا القديمة؛ الفتاة المرحة التى لم تكن الابتسامة تفارق وجهها يومًا، ما إن تبادلنا التحية حتى انساب الحديث بيننا، وكأنها كانت تبحث منذ سنوات عمن يسمع حكاياتها.

قالت إنها تزوجت فى شبابها بعد قصة حب، لكن زواجها انتهى ولم يشفع لها هذا الحب، طلقت لأنها لم تُرزق بأطفال، لم يكن الطلاق نتيجة خلاف أو سوء عشرة، بل لأن زوجها لم يتوقف عن معايرتها بعدم الإنجاب حتى جعلها تشعر أن قيمتها كلها اختُزلت فى أمر لم يكن لها يدٍ فيه.

ثم تزوجت رجلًا أرملًا لديه أبناء وبنات يريد أما لهم، احتضنتهم كما لو كانوا أبناءها، وربتهم، وسهرت على تعليمهم، حتى زوجت البنات، وظنت أن الله عوضها بأسرةٍ حرمت منها، لكن القدر كان يخفى لها امتحانًا آخر؛ فما إن توفى زوجها حتى تنكر لها الأبناء، وأداروا ظهورهم لها، لتجد نفسها وحيدة بعد سنوات طويلة من العطاء.

توقعت أن تنتهى الحكاية عند هذا الحد، لكنها ابتسمت وقالت: "بعد أن تجاوزت الستين، طرق بابى رجل طيب يطلب الزواج، رفض إخوتى جميعًا، وقالوا: ماذا ستفعلين بالزواج فى هذا العمر؟ لكننى وافقت خوفا من الوحدة و لأن كلا منهم مشغول بحياته، و رغم غضبهم ومقاطعتهم لى أتممت الزواج. "ثم أضافت، وعيناها تلمعان بامتنان: "مر على زواجنا ثلاث سنوات... والله ما عرفت معنى الراحة إلا معه، يحترمني، ويخاف عليّ، ويجبر خاطرى كل يوم." لم تكن كلماتها وحدها هى التى تروى الحكاية، بل كانت ملامحها أيضًا.

رأيت امرأة تجاوزت الستين، لكن الحياة بدت وكأنها بدأت معها من جديد، كان فى وجهها صفاء لا تصنعه الأيام السهلة، بل تصنعه الطمأنينة بعد طول انتظار. عندها أيقنت أن العمر لا يقاس بعدد السنوات، بل بعدد اللحظات التى نشعر فيها أننا وجدنا مكاننا فى الحياة.

غادرتها وأنا أفكر فى ذلك الخطأ الذى يقع فيه كثيرون، حين يظنون أن للسعادة موعدًا واحدًا، فإذا ضاع ضاعت معه كل الفرص، وكأن الحياة تمنح الإنسان محاولة واحدة، فإذا أخفق فيها، لم يبق له سوى اجترار الذكريات.

لكن الحياة رغم صعوبتها أكثر رحمة من ذلك، فالإنسان لا يعيش تجربة واحدة، ولا يختبر حبًا واحدًا، ولا تُغلق فى وجهه جميع الأبواب إذا أغلق باب واحد. وما نسميه أحيانًا نهاية، قد يكون بداية لا نراها إلا بعد أن تهدأ عاصفة الألم.

الخسارة ليست نهاية الطريق، بل جزء من الرحلة. والخذلان لا يعنى أن العالم خلا من الأوفياء، كما أن الفشل لا يعنى أن النجاح أصبح مستحيلا ، يقول الفيلسوف الرومانى سينيكا: "ما دمنا أحياء، فعلينا أن نتعلم كيف نحيا." .

أما جلال الدين الرومى فيلخص الأمر بقوله: "الجرح هو المكان الذى يدخل منه النور إليك " .

المشكلة ليست فى التجارب القاسية، بل فى أن نسمح لها بأن تتحول إلى سجن نخاف داخله من كل بداية جديدة، فكم من إنسان أغلق قلبه بعد خذلان، أو تراجع عن فرصة، خوفا من الفشل، فخسر ما كان يمكن أن يكون أجمل ما فى حياته.

الخوف قد يحمينا من ألم محتمل، لكنه يحرمنا أيضًا من سعادة محتملة، لذلك، من حق كل إنسان أن يمنح نفسه فرصة ثانية وثالثة ورابعة للسعادة، ومن واجبه ألا يسمح للخوف أن يشل إرادته، فالسعادة المشروعة تستحق أن نسعى إليها، بعد أن نحسن الاختيار، ونأخذ بالأسباب، ثم نترك النتائج لله.

وقد علمنى الإسلام أن السعى مسؤوليتنا، أما التوفيق فمن عند الله ، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ كم من باب أُغلق فكان وراءه خير لم نره إلا بعد سنوات، وكم من أمنية تأخرت حتى جاء معها النضج الذى يجعلنا أقدر على الاحتفاظ بها.

إن الزمن ليس عدوًا للإنسان، ولا العمر حاجزًا أمام الفرح.

ففى كل يوم فرصة لم تكن موجودة بالأمس، وشخص لم نلتقه بعد، وخير يدخره الله فى الوقت الذى يراه أصلح لنا.

ليس المطلوب أن ننسى آلامنا، بل ألا نجعلها تحكم مستقبلنا. فالحياة لا تطلب منا ضمان النتائج، وإنما شجاعة المحاولة، وحسن السعي، والرضا بما يختاره الله لنا.

وطالما أن فى العمر بقية، فهناك دائمًا صفحة لم تُكتب، ودعاء لم يُستجب بعد، وفرصة جديدة يسوقها الله إلينا فى الوقت الذى يختاره بحكمته.

فالشمس قد تغيب عن يوم، لكنها لا تغيب عن الحياة. وكذلك السعادة؛ قد تتأخر، وقد تأتى من باب لم نتوقعه، لكنها تظل ممكنة ما دام القلب ينبض، وما دام الأمل معلقًا بالله. وربما يكون أجمل ما ينتظرنا ليس ما فقدناه، بل ما ادخره الله لنا حتى يحين موعده.

المرأة ومواجهة التنمر والعنف

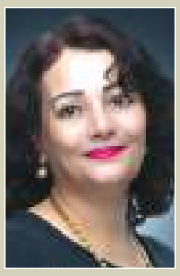

بقلم: د. أنيسة فخرو
كاتبة بحرينية

بحكم كونى كاتبة، تصلنى عشرات الاتصالات والحالات، لنساء يعشن حياة مأساوية، وأحاول أن أقدّم إليهن بعضٍ النصائح والحلول، لعل وعسى أن تنفع قليلا.

وبالطبع يوجد أزواج يتعرضون للتنمر والعنف من الزوجات غير المتربيات سليطات اللسان، لكن النسبة أقل بكثير من النساء اللواتى يتعرضن للأمر نفسه.

ولاحظت المعاناة الشديدة من تنمر الزوج للعديد من الزوجات، لسنوات طويلة، وعلى الزوجة الصبر والتحمل، بسبب وجود الأولاد، لتتدمر النفسيات، خاصة عندما يكون الرجل بلا أخلاق فى التعامل مع زوجته، وعليها أن تتحمل وترضخ، وإن أبدت رفضها، يحاصرها فى إحدى زوايا البيت وينهال عليها بالصراخ والضرب، وإجبارها على السكوت والدفاع عن نفسها فقط، بسبب خوفها من الطلاق.

وقد اتصلت بى إحدى الحالات التى لا أعرف كيف أساعدها، وأشعر بالعجز، لذلك أكتب عن وضعها وحالها، لعل وعسى تجد من ينصفها ويعيد لها حقها:

ديننا الإسلامى دين العدل والرحمة

متزوجةٍ منذ (٣٠) عاماً، أى أن عمرها قد تعدى الخمسين، ولديها ولدين وبنت، كبروا وأصبحوا فى سن الزواج وهم يرون معاناة والدتهم أمام أعينهم ولا يستطيعون فعل أى شيء.

المشكلة:

منذ سنوات عدة والزوجة تتعرض إلى عنف وإرهاب جسدى ولفظى ونفسى من قبل الزوج، ويمارس عليها تعذيب يومي، حتى أصبحت الزوجة لا تستطيع النوم، بسبب الرعب والقهر والظلم.

وهو يضربها فى مواضع لا تظهر الكدمات فيها، مثلًا على قمة الرأس أو فى البطن، ولقد ذهبت الزوجة إلى مركز الشرطة وإلى العديد من الجهات، لدفع الضرر عنها وحماية نفسها، لكنها بسبب خوفها من أن يُطلقها، لا تجرؤ على تقديم بلاغ رسمى ضده، ومازالت تعانى الأمرّين.

وكل ما تطلبه هو حمايتها من تعنيف الزوج وعذابه، وهى صابرة على العذاب والإهانات خوفاً من أن يُطلقها ويطردها من البيت، فتصبح فى هذا العمر بلا مأوى، فكيف تضمن حقها فى البيت؟ وكيف تحمى نفسها من عنف الزوج؟

ولقد تزوج عليها امرأة غير بحرينية منذ سنوات عدة.

ولا تتمنى سوى أن يكفّ شره عنها، ويعيش حياته مع زوجته الجديدة ويتركها بسلام.

ومن مهزلة القدر أو من سذاجة هذه الزوجة، أن الزوج سحب كل حقوقها التقاعدية منذ سنوات طوال، وأصبحت لا تملك راتباً تقاعديًا، فى حين أن وضع الزوج المالى ممتاز، وقد اشترى بيتا كبيرا وسيارة للزوجة الجديدة، فى حين لا يدفع ديناراً واحداً لزوجته الأولى!

إن ديننا الإسلامى دين العدل والرحمة، والقضاء البحرينى يُعلى الحقيقة والنزاهة، فلماذا لا ينصف الشرع والقانون مثل هذه الزوجة البائسة؟

أناشد القضاة الشرفاء وكل مسؤول بيده القرار، أن يفعل شيئاً لكى ينصف هذه المرأة المظلومة، والتى توجد عشرات النساء من أمثالها.

ومن يستطيع المساعدة فى رفع الظلم عن هذه المرأة، ويرغب فى المزيد من التفاصيل، يمكنه التواصل معى بشكل مباشر،

والله من وراء القصد.

كارت أحمر: الاقتصاد السياسي لكرة القدم

كيف أصبحت اللعبة الأكثر شعبية في العالم واحدة من أكبر صناعات النفوذ؟

قراءة فى كتاب: Red Card: The 2026 World Cup, Sportswashing, and the FIFA Greed Machine

إعداد: عزت إبراهيم

عندما أصدر أستاذ العلوم السياسية الأمريكى جولز بويكوف كتابه Red Card، لم يكن ينضم إلى سيل الكتب التى صدرت عن الفساد فى الاتحاد الدولى لكرة القدم، أو عن الجدل الذى أحاط باستضافة بطولات كأس العالم خلال العقدين الماضيين. فقد تناولت مئات الكتب والصحف تلك القضايا من قبل، وكشفت التحقيقات القضائية فى الولايات المتحدة وسويسرا كثيراً من تفاصيلها. الجديد فى هذا الكتاب أنه يطرح سؤالاً مختلفاً: كيف تحولتٍ كرة القدم إلى واحدة من أكثر الصناعات تأثيراً فى الاقتصاد والسياسة والعلاقات الدولية؟ ولماذا أصبحت بطولة كأس العالم حدثاً تتنافس عليه الحكومات كما تتنافس عليه المنتخبات؟

هذا السؤال هو مفتاح الكتاب كله. فلا ينظر بويكوف إلى كأس العالم باعتبارها البطولة الرياضية الأكبر فحسب، بل باعتبارها نموذجا مكثفاً للعولمة فى صورتها الحديثة، حيث تختلط الدولة باقتصاد السوق، وتتحول الرياضة إلى منصة للتجارة والدبلوماسية والثقافة والإعلام فى وقت واحد. ومن هذه الزاوية لا تبدو كرة القدم استثناءً، بل واحدة من أكثر الصناعات قدرة على التعبير عن طبيعة النظام الدولى فى القرن الحادى والعشرين.

ولم تصل اللعبة إلى هذه المكانة مصادفة. فعندما تأسس الاتحاد الدولى لكرة القدم عام ١٩٠٤، لم يكن أكثر من منظمة صغيرة تهدف إلى تنسيق المباريات الدولية. وحتى منتصف القرن العشرين بقيت كأس العالم بطولة محدودة من حيث الإيرادات والجمهور. لكن نقطة التحول جاءتٍ مع انتخاب البرازيلى جواو هافيلانج رئيساً للفيفا عام ١٩٧٤. أدرك هافيلانج أن كرة القدم تملك جمهوراً يفوق أى نشاط ترفيهى آخر، لكنها لا تزال تُدار بعقلية الهواة. فتح الباب أمام الرعاة العالميين، وربط البطولة بالشركات متعددة الجنسيات، ومنح حقوقاً تجارية حصرية لعلامات مثل كوكاكولا وأديداس، وحول كأس العالم من بطولة رياضية إلى منتج إعلامى عالمي. لم يكن ذلك مجرد تطوير إداري، بل كان إعادة تعريف كاملة لوظيفة الفيفا.

واصل السويسرى سيب بلاتر هذا المسار بعد عام ١٩٩٨، لكن على نطاق أوسع. فقد تضاعفت عائدات كأس العالم دورة بعد أخرى، وأصبحت حقوق البث التلفزيونى تمثل المصدر الرئيسى للإيرادات، بينما دخلت شركات الاتصالات، والخدمات المالية، والسيارات، والطيران، والملابس الرياضية فى شبكة الرعاية العالمية. ولم يعد نجاح البطولة يقاس بعدد الأهداف أو جودة المباريات، بل أيضاً بحجم العقود التجارية، وعدد المشاهدين، وقيمة العلامة التجارية للفيفا نفسها.

من هنا ينطلق بويكوف ليقول إن الفيفا لم تعد مجرد اتحاد رياضي، بل أصبحت مؤسسة تدير أحد أكبر الأصول الاقتصادية فى العالم. قد يبدو هذا الوصف مبالغاً فيه لأول وهلة، لكنه يكتسب قدراً من المنطق عندما ننظر إلى الأرقام. فميزانية الفيفا للدورة المالية ٢٠٢٣-٢٠٢٦ تقترب من ١٣ مليار دولار، بينما يتوقع أن تكون نسخة ٢٠٢٦ الأكبر فى تاريخ البطولة بمشاركة ٤٨ منتخبا وإقامة ١٠٤ مباريات فى ثلاث دول وست عشرة مدينة. هذه ليست مجرد زيادة فى عدد المباريات، وإنما توسع فى حجم السوق نفسه. فكل مباراة إضافية تعنى ساعات بث جديدة، وعقود رعاية إضافية، وعشرات الآلاف من التذاكر، وملايين المشاهدات الرقمية، وسوقاً استهلاكية تتسع عاما بعد آخر.

غير أن أهم ما يلفت النظر فى الكتاب ليس الأرقام، بل الطريقة التى يقرأ بها هذه الأرقام. فبويكوف يرى أن الاقتصاد لم يعد يدور حول كرة القدم، وإنما أصبحت كرة القدم نفسها جزءاً من الاقتصاد العالمي. المدن التى تستضيف البطولة لا تبنى ملاعب فقط، بل توسع مطارات، وتطور شبكات نقل، وتعيد تخطيط أحياء كاملة، وتستثمر فى الفنادق والاتصالات والخدمات. الحكومات لا تسعى إلى الفوز بحق التنظيم من أجل المباريات وحدها، بل من أجل ما تمنحه البطولة من حضور دولي، وجذب للاستثمارات، وتنشيط للسياحة، وتعزيز للعلامة الوطنية. والشركات لا تدفع مليارات الدولارات لأن جمهور كرة القدم يشترى منتجاتها فى شهر واحد، بل لأن البطولة تمنحها فرصة للوصول إلى جمهور عالمى لا يجتمع فى مناسبة أخرى بهذا الحجم.

وهنا يخرج الكتاب من حدود الرياضة إلى مجال الاقتصاد السياسي. فالاقتصاد السياسي لا يهتم بحجم الإيرادات وحده، بل يهتم أيضا بمن يملك القرار، وكيف توزع المنافع، ومن يتحمل الكلفة. ومن هذا المنطلق يطرح بويكوف سؤالا مشروعا: إذا كانت الحكومات تتحمل الجزء الأكبر من تكاليف الأمن، والبنية الأساسية، والخدمات العامة، بينما تذهب نسبة كبيرة من العوائد التجارية إلى الفيفا والرعاة وحقوق البث، فمن الرابح الحقيقى من استضافة البطولة؟

لا يقدم المؤلف إجابة واحدة، لكنه يلفت الانتباه إلى أن العلاقة بين الفيفا والدول لم تعد علاقة اتحاد رياضى مع دولة مضيفة، بل أصبحتٍ علاقة تفاوض بين مؤسسة عالمية تمتلك أصلا اقتصادياً بالغ القيمة، وحكومات مستعدة لتقديم تنازلات واسعة من أجل الحصول على حق التنظيم. وهنا تظهر إحدى أهم أفكار الكتاب: القوة فى كرة القدم لم تعد تُقاس بعدد الأهداف، بل بامتلاك الحدث نفسه.

لكن هذه الأطروحة، على جاذبيتها، ليست كاملة. فالمؤلف يركز بصورة كبيرة على منطق السوق، ويمنح الاقتصاد الدور الحاسم فى تفسير كل التحولات تقريباً. والحقيقة أن كرة القدم بقيت، رغم كل شيء، ظاهرة ثقافية قبل أن تكون صناعة. فلا يمكن تفسير الحضور الجماهيرى الهائل، أو الانتماء العاطفى للأندية والمنتخبات، أو قدرة اللعبة على تجاوز الحدود واللغات، من خلال حسابات الربح وحدها. ولو كانت كرة القدم مجرد سلعة، لما استطاعت أن تحتفظ بهذا القدر من الشغف الشعبى عبر أكثر من قرن.

وهنا تكمن القيمة الحقيقية للكتاب. فهو لا يقدم الحقيقة النهائية عن كرة القدم، بل يقدم عدسة جديدة للنظر إليها. يجعل القارئ يخرج من دائرة النتائج والتكتيك والبطولات إلى دائرة أخرى أكثر اتساعا، حيث تتداخل السياسة بالاقتصاد، والإعلام بالدبلوماسية، والرياضة بإدارة الصورة الدولية. وبعد قراءة هذا الجزء من الكتاب، يصبح من الصعب النظر إلى كأس العالم بوصفها مجرد بطولة تنتهى بتتويج منتخب، لأن ما يجرى خارج المستطيل الأخضر لا يقل أهمية، فى كثير من الأحيان، عما يجرى داخله.

كيف أصبحت اللعبة الأكثر شعبية فى العالم واحدة من أكبر صناعات النفوذ؟

الفيفا... إمبراطورية تتجاوز حدود الملاعب

إذا كان القرن العشرون قد شهد صعود الشركات متعددة الجنسيات بوصفها أحد أبرز الفاعلين فى الاقتصاد العالمي، فإنٍ العقودٍ الثلاثة الأخيرة أفرزت نموذجاً مختلفاً يصعب تصنيفه بالمعايير التقليدية. فلا الفيفا شركة تجارية بالمعنى القانوني، ولا هى منظمة حكومية، ولا مؤسسة دولية مثل الأمم المتحدة، ومع ذلك تمارس نفوذاً يجعلها فى بعض الأحيان أقرب إلى كيان عابر للحدود يمتلك القدرة على فرض قواعده على الحكومات والمدن والشركات. وهذه هى الفكرة التى تشغل الحيز الأكبر من كتاب جولز بويكوف؛ فالقضية بالنسبة إليه ليست فساد مسؤول هنا أو تضارب مصالح هناك، وإنما التحول الذى جعل مؤسسة رياضية تتحكم فى واحد من أكبر الأحداث الاقتصادية والإعلامية فى العالم.

لم يحدث هذا التحول فجأة. فقد تطورت الفيفا بالتوازى مع التحولات الكبرى التى شهدها الاقتصاد العالمى منذ سبعينيات القرن الماضي. توسعت أسواق البث الفضائي، وظهرت الشركات العابرة للقارات، وارتفعت قيمة العلامات التجارية، ثم جاءت الثورة الرقمية لتضاعف قيمة المحتوى الرياضي. فى هذا السياق لم تعدٍ المباراة منتجاً قائماً بذاته، بل أصبحت نقطة البداية لسلسلة طويلة من الأنشطة الاقتصادية. فكل دقيقة لعب تنتج ساعات من التحليل التلفزيوني، وآلاف المقاطع الرقمية، وملايين التفاعلات على منصات التواصل، وحركة إعلانية ضخمة، وأسواقاً للمراهنات، وتطبيقات للهواتف، وقواعد بيانات تسجل كل ما يفعله المشجع منذ لحظة شراء التذكرة وحتى مغادرته الملعب.

يعتبر بويكوف أن هذا التحول غير طبيعة السلطة داخل كرة القدم. ففى الماضى كانت الأندية والمنتخبات هى مركز اللعبة، أما اليوم فقد أصبحت البطولة نفسها هى الأصل الاقتصادى الحقيقي. ولهذا تتعامل الفيفا معٍ كأسٍ العالم باعتباره منتجاً عالمياً يحتاج إلى إدارة متكاملة، وليس مٍجرد مسابقة تستمر شهراً ثم تنتهي. ويكفى النظر إلى دورة ٢٠٢٦ لفهم حجم هذا التغيير. فعدد المباريات ارتفع إلى ١٠٤، وعدد المنتخبات إلى ٤٨، واتسعت الرقعة الجغرافية لتشمل ثلاث دول فى وقت واحد، بينما تحولت المدن الست عشرة المضيفة إلى شبكة اقتصادية متصلة، ترتبط بخطط أمنية وسياحية وإعلامية واستثمارية موحدة. لم تعد البطولةٍ تنتقل من دولة إلى أخرى، بل أصبحت مشروعاً اقتصادياً متعدد المراكز، يدار بمنطق الشركات العالمية أكثر مما يدار بمنطق الاتحادات الرياضية.

ويلفت الكتاب الانتباه إلى أن القيمة الحقيقية لكأس العالم لم تعد تكمن فى بيع التذاكر، ولكن فى بيع حق الوصول إلى الجمهور. فالشركات لا تستثمر مليارات الدولارات لأنها تتوقع زيادة فورية فى المبيعات خلال شهر البطولة، وإنما لأنها تدرك أن كأس العالم يمنحها فرصة للوصول إلى جمهور عالمى يصعب أن يجتمع فى مناسبة أخرى. ولهذا تتغير طبيعة الرعاية من مجرد وضع شعار على لوحة إعلانية إلى شراكة فى صناعة التجربة نفسها، من التطبيقات الرقمية إلى المحتوى التفاعلي، ومن التحليلات القائمة على الذكاء الاصطناعى إلى الحملات الإعلانية المصممة لكل سوق على حدة.

ومن هنا يطرح بويكوف واحدة من أكثر أفكاره إثارة للجدل، وهى أن المشجعٍ لم يعد الهدف النهائى للبطولة، بل أصبح جزءاً من المنتج نفسه. فكل عملية شراء، وكل تفاعل رقمي، وكل رحلة سفر، وكل صورة تنشر من داخل الملعب، تضيف قيمة اقتصادية جديدة إلى المنظومة. ولم يعد الجمهور مجرد متلق للمباراة، بل تحول إلى شريك غير مباشر فىٍ إنتاج قيمتها التجاريةٍ. هذه الفكرة قد تبدو قاسية، لكنها تعكس تحولاً أوسع فى الاقتصاد الرقمي، حيث أصبحت البيانات والانتباه والوقت الذى يقضيه المستخدم أمام الشاشة أصولاً لا تقل قيمة عن السلع التقليدية.

لكن القراءة النقدية تقتضى التوقف عند حدود هذه الأطروحة. فبويكوف يفسر معظم التحولات من خلٍال منطق السوق، بينما تبدو الصورة أكثر تعقيداً. فمن الصعب إنكار أن التوسع فى كأس العالم منح منتخٍبات من آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية فرصاً لم تكن متاحة فى النظام القديم، كما يصعب تجاهل أن كرة القدم ما زالت تحتفظ بقدرة استثنائية على إنتاج لحظات يتراجع فيها منطق السوق أمام منطق الانتماء والهوية والذاكرة. ملايين المشجعين لا يسافرون وراء منتخباتهم لأنهم جزء من صناعة، بل لأنهم يرون فى الرياضة امتداداً لهويتهم الوطنية والثقافية.

وربما تكشف بطولة ٢٠٢٦ نفسها حدود رؤية المؤلف. فقد أثبتت الأسابيع الأولى من البطولة أن الحدث قادر فى الوقت نفسه على إنتاج أرباح قياسية وإثارة نقاشات سياسية حادة، وعلى جذب جمهور غير مسبوق مع استمرار الانتقادات المتعلقة بالهجرة والأمن وأسعار التذاكر. وهذا يعنى أن كأس العالم لا ينجح دائماً فى فرض الرواية التى تٍرغب فيها الفيفا أو الحكومات، بلٍ يتحول أحياناً إلى منصة تكشف التناقضات بدلاً من إخفائها. وهنا يبدو مفهوم «الغسل الرياضي» أقل قدرة على تفسير كل ما يجري، لأن البطولة قد تصبح، فى بعض الأحيان، مساحة لتضخيم الأزمات لا لتجميلها.

ومع ذلك، لا يفقد الكتاب أهميته. فٍبويكوفٍ يذكر القارئٍ بأن كرة القدم لم تعد شأناً رياضياً خالصاً، وأن فهمها يتطلب النظر إلى ما وراء النتائج والجداول. فعندما تتنافس المدن على الاستضافة، والشركات على الرعاية، والمنصات على حقوق البث، والحكومات على الظهور، يصبح من المشروع الحديث عن اقتصاد سياسى لكرة القدم، لا عن اقتصاد الرياضة فقط. لقد خرجت اللعبة منذ زمن مٍن حدود المستطيل الأخضر، وأصبحت جزءاً من التوازنات الاقتصادية والثقافية والجيوسياسية للعالم المعاصر.

وهذا هو الإنجاز الحقيقى للكتاب. فهو لا يطلب من القارئ أن يتخلى عن شغفه بكرة القدم، ولا يحاول إقناعه بأن البطولة مجرد مشروع تجارٍى ضخم. بل يدعوه إلى النظر إلى المشهد كاملاً؛ إلى الهدف الذى يهز المدرجات، وإلى العقد الٍذى وقٍع قبل سنوات كى يصبح ذلك الهدف حدثاً عالمياً. وبين هذين المشهدين تمتد المسافة التى يحاول جولز بويكوف استكشافها، وهى المسافة التى تجعل من كرٍة القدم اليوم واحدة من أكثر الظواهر تعقيداً فى السياسة والاقتصاد والثقافة، لا مجرد اللعبة الأكثر شعبية فى العالم

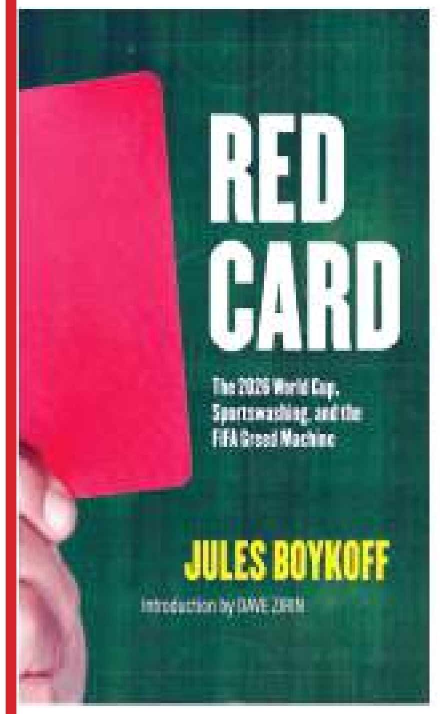

غلاف ريد كارد